نوعية الحياة لدى نساء الحمرة

دراسة أنثروبولوجية ميدانية للنساء العاملات بقطاع مصانع الطوب الأحمر

مروة محمد تهامي أبو زيد[١]
marwatohamy65@yahoo.com
رشا سعيد أبو شقرة[٢]

ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى محاولة معرفة تأثير الظروف والأوضاع المعيشية في تشكيل نوعية الحياة لدى نساء الحمرة (النساء العاملات في قطاع حمل الطوب بالمصانع)، وكيف تتشكل رؤيتهن للحياة، وذلك للتوصل إلى مقترحات قد تساعد في تحسينها، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي.

وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج لعل أهمها: أن هناك عدة عوامل ساهمت في ظهور قطاع النساء العاملات في مصانع الطوب، وقد تحددت أهم هذه العوامل في غياب عائل الأسرة، مثل: وفاة الزوج، الطلاق، هجر الزوج، قلة دخل العائل، إدمان الزوج، وغيره، مما أدى إلى قيام المرأة بإعالة الأسرة، ويتزامن ذلك مع انخفاض مستوى التعليم حيث انتشار الأمية يقلل فرص هذه الشريحة على تحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي والاستفادة من البرامج التنموية، وتعد المشكلات الاقتصادية من أهم المشكلات التي تعاني منها نساء الحمرة، حيث العجز عن توفير الاحتياجات الأساسية للحياة، كالطعام والملبس ودفع تكلفة الخدمات المعيشية، كذلك اتضح من نتائج الدراسة انخفاض نوعية الحياة لدى نساء الحمرة على مستوى المؤشرات الموضوعية للدراسة حيث انخفاض الدخل و جودة الطعام والسكن والعلاقات الاجتماعية وكثرة الديون، وتدني الصحة. كذلك انخفاض المؤشرات الذاتية لنوعية الحياة لدى نساء الحمرة أسهم في قلة درجات الرضا عن الحياة.

الكلمات المفتاحية: نساء الحمرة (حاملات الطوب بالمصانع)- نوعية الحياة- المرأة العاملة- المؤشرات الموضوعية والذاتية لنوعية الحياة

[١] أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد - كلية الدراسات الأفريقية العليا- جامعة القاهرة

٢ مدرس الأنثروبولوجيا - كلية الدراسات الأفريقية العليا- جامعة القاهرة

المقدمة:

ناقش علماء الأنثروبولوجيا في السابق مفاهيم متعلقة بنوعية الحياة ومستويات المعيشة؛ فكانت النقطة الرئيسية في حياة علماء الأنثروبولوجيا الرائدين "برونيسلاف مالينوفسكي" Bronisław Malinowski و"مارغريت ميد" Margaret Meed هي إثبات أن نسيج وجودة حياة سكان جزيرة "تروبرياند" أو حياة "ساموا" كمثال لا يمكن مقارنتها بحياة الأمريكيين، لأن السياق الثقافي الذي أعطى المعنى لأي معيار متعلق بجودة الحياة كان مختلفًا تمامًا بين المجتمعين. وقد ابتكر الرواد المؤسسين من علماء الأنثروبولوجيا مفهوم "النسبية الثقافية" كنقد لما شعروا به من طغيان المادية المفرطة، وفقدان المعنى الذاتي، حيث تبنى الأنثربولوجيون رؤية تشير إلى أن هناك عناصر ومجموعات أخرى من القيم، أعمق وأكثر من العامل المادي لقياس نوعية الحياة، وقد حاول العديد من علماء الأنثروبولوجيا قياس فعالية الثقافات المختلفة في تلبية احتياجات أعضائها بعيدًا عن سيطرة المؤشرات العالمية المادية لقياس نوعية الحياة. (Wilk, 2000) ومع صعود الأنثروبولوجيا الماركسية والنسوية طغى توجه جديد لنزع الطابع الرومانسي عن "الآخر" والتفكير في عدم المساواة والاستغلال في المجتمعات غير الغربية. فحاول العديد من الأنثربولوجيون قياس نوعية وفاعلية ثقافات المجتمعات المختلفة في توفير الاحتياجات المتعددة لأفرادها في ضوء المؤشرات الكيفية دون الاقتصار على المؤشرات الكمية للقياس.

ويُنظر لمفهوم نوعية الحياة على أنه من المفاهيم الدينامية والمعقدة رغم اتسامه بالمرونة التي تسمح للباحث بتطويعه وفق رؤية الدراسة، حيث يرتبط مفهوم نوعية الحياة بالسياق البيئي بما يتمتع به من خصائص لها الدور الأكبر في إعطاء حياة الفرد على المستوى الذاتي والموضوعي مدلولاتها الخاصة، ورغم تعدد مؤشرات مفهوم نوعية الحياة واختلاف مقاييسه من مجتمع لآخر ومن تصور لآخر إلا أنه

من الضروري عند دراسته مراعاة خصوصية المجتمع بعيدًا عن الأنماط المثالية لقياس المفهوم.

كما عُرف نوعية الحياة كمفهوم متعدد الأبعاد حيث يشمل أبعادًا متعددة تتمثل في: معرفة مستوى الرفاهية المادية لدى الأفراد، والدخل ونوعية السكن، والنقل، والصحة، والرفاهية الاجتماعية، والعلاقات الإنسانية، والمشاركة المجتمعية، وينتهي بالصحة العقلية واحترام الذات، فيرتبط مفهوم نوعية الحياة بالبيئة المادية والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد.

(Snek, 2005)

عادة ما يتم قياس نوعية الحياة من خلال تصنيف الحالة الاجتماعية والثقافية والصحية والعمرانية والترفيهية والتعليمية للأفراد كأحد مظاهر الحياة اليومية والتي تشمل أيضًا مستويات المعيشة والسكن وعلاقات الجيرة والعمل والصحة والزواج والصداقات والانتماء للمجتمع الوطني وأوقات الفراغ والترويح، فمصطلح نوعية الحياة يشمل معنى كمي وآخر كيفي ويتضمن مجالات متعددة ومتنوعة حيث يرتبط بخصائص الأفراد وبيئاتهم الطبيعية والثقافية المتباينة.

(الغندور، ٢٠٠٧)

وفي ضوء ذلك يهدف هذا البحث إلى تعرف نوعية الحياة لدى نساء الحمرة (مجموعة النساء التي اضطرتهن الظروف المعيشية للعمل بمهنة حمل الطوب المخصص للبناء داخل المصانع)، وكيف تؤثر الظروف المعيشية على رؤية نساء الحمرة لنوعية الحياة؛ حيث عادة ما تتسم هذه الفئة من النساء بالتعليم المنخفض والدخل الضعيف، كما يغلب على صحة المرأة بهذا القطاع أيضا اتسامها بالضعف كما أن أوقات فراغهن ورفاهياتهن بصفة عامة أقل من أوقات فراغ الرجال ورفاهيتهم، لأن ديناميات نوع الجنس في المنزل لا تزال على حالها لينتهي الأمر بهن إلى العمل بدوام كامل خارج المنزل، مع الاحتفاظ بمسؤولياتهن

الأسرية كاملة، ورغم أن هذه النتائج تعد مخيبة للآمال لكنها أيضًا تمهد الطريق لفرص تنموية هائلة لتحسين ظروف عمل المرأة ونوعية الحياة لديها حتى يمكن معالَجة أوجه الحرمان التي غالباً ما تواجهها.

وتنتشر في مصر صناعة الطوب الأحمر وهي صناعة تاريخية ممتدة منذ القدم فقد عرفها القدماء المصريون ووثقتها جدران المعابد، فيوجد في مصر حاليًا قرابة الـ (١٣٢٠) مصنعًا للطوب موزعة ما بين (٧٠٠) مصنع في جنوب الجيزة وفي عرب أبو ساعد والصف وكفر حميد وجرزا، وبني سويف وباقي الـ (٣٠٠) مصنع متفرقة ما بين الوجه البحري والقبلي، وأغلبها متمركز في "زفتى، ميت غمر والشرقية والسادات حاليًا"، وحوالي (٣٠٠) مصنع متوقف عن العمل نظرا للظروف الاقتصادية(*) (مركز التعبئة والإحصاء، ٢٠٢١)، وهذا العدد الهائل من المصانع يتطلب عدداً كبيراً من العمالة التي تُعد المرأة جزءًا منها؛ ولما كانت هذه المهنة تتسم بالمشقة وهروب الرجال منها؛ فهي تتطلب المزيد من الجلد والصبر والتحمل والقوة البدنية مما يصعب على النساء اختيارها كمهنة، فقد رأت الباحثة أنه من الضروري معرفة شكل ونوعية حياة هؤلاء النسوة العاملات بها ودوافعهن للعمل بها.

المبحث الأول- الاطار العام للبحث:

أولاً- الإشكالية:

إن الحاجة إلى الكفاية من الطعام والقدرة على الحصول على ثلاث وجبات في اليوم بغض النظر عن جودة الوجبة ومدى تحقيقها للإشباع أصبحت مطلبًا ضروريًا لعدد كبير من الشرائح الاجتماعية، فيعد الشقاء العقلي الناتج عن الشقاء

(*) يشار إلى أن هناك مشكلات عدة تواجه تلك الصناعة في مقدمتها ارتفاع أسعار «المازوت» اللازم لتشغيل أفران الطوب حيث يصل سعر الطن الواحد إلى ١٢٠٠ جنيه بعدما كان لا يتجاوز ٤٠٠ جنيه قبل ثلاث سنوات. وتبلغ تكلفة استهلاك المصنع الواحد لإنتاج الطوب باستخدام المازوت نحو ١٠٠ ألف جنيه أسبوعيًا، وتنخفض إلى ٢٥ ألفًا في حالة استخدام الغاز الطبيعي.

الاجتماعي من نقص الطعام، نقص العمل المتاح، ضعف مصادر الرزق، الحاجة، المرض الناتج عن الفقر بما يتبعه من قلق وتشتت وكثرة تفكير في سد احتياجات اليوم و الغد، من أهم مبررات وجود نساء الحمرة (النساء التي تقوم بحمل الطوب في مصانع الطوب) واستمراراها، ودائماً إلى جانب انتشار الأمية وانخفاض جودة التعليم، فدائمًا ما يرتبط الفقر والعوز بعمل المرأة في أعمال غير إنسانية أو في ظروف شاقة وغير آمنة؛ حيث استغلال الجسد متمثلًا في القوة البدنية للفرد، ويتزامن ذلك مع التغيرات الاقتصادية السريعة والمتلاحقة بالمجتمع والتي أدت إلى أن الجهود والإنجازات المبذولة بالدولة لتحسين أوضاع المرأة وتمكينها على كافة الأصعدة رغم ضخامتها لا زالت تواجه تحديات كبيرة للنهوض بواقع المرأة في بعض الشرائح الاجتماعية.

لذلك تأتي أهمية هذه الدراسة رصد ملامح نوعية الحياة لفئة النساء العاملات في حمل الطوب ضرورة للوقوف على خصائصها باعتبارها مدخلًا مهمًا وملحًا في تحقيق التنمية المستدامة.

وتتلخص الإشكالية البحثية لهذه الورقة في محاولة التعرف على نوعية الحياة لدى نساء الحمرة بقرية "الشناوية" بمركز ناصر التابع لمحافظة بني سويف وذلك لتحديد الخصائص والأوضاع الاجتماعية والثقافية لهذه الفئة، ويتمثل ذلك في التساؤل التالي:

- كيف تؤثر الظروف والأوضاع المعيشية في تشكيل نوعية الحياة لدى نساء الحمرة، وكيف تتشكل رؤيتهن للحياة؟

وذلك للتوصل إلى مقترحات قد تساعد في تحسينها.

كما تحاول هذه الدراسة تحديد العوامل التي ساهمت في الدفع بالنساء للعمل في قطاع مصانع الطوب، والذى يُعد تحديًا لنظام تقسيم العمل الاجتماعي التقليدي تبعًا للنوع في مجتمع قروي (مجتمع الدراسة).

ثانياً- أهمية الدراسة:

شهدت المجتمعات في السنوات الأخيرة العديد من التغيرات المتسارعة والمتلاحقة وما تبعتها من تغيرات على جميع الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتي أسهمت في إحداث العديد من التحولات والتغيرات على المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأفراد أنفسهم والتي تُعد عمالة المرأة في الأعمال والمهن الشاقة من أهم انبثاقاتها لذلك كان من الضروري دراسة هذه الفئة من النساء وإلقاء الضوء على نوعية الحياة لديهن، وفى ضوء ذلك يمكن إيجاز أهمية الدراسة في نقطتين رئيسيتين:

١. الأهمية النظرية:

أ. ندرة الدراسات التي تلقي الضوء على الواقع المعاش لتلك الفئة على حد علم الباحثة، حيث تُعد هذه الدراسة هي الأولى من نوعها على حد اطلاع الباحثة في تناولها لنوعية الحياة لنساء الحمرة وكذلك تحديد رؤيتهن للحياة.

ب. تسهم الدراسة في إثراء الأدبيات النظرية النظري بتقديمها مادة (نظرية- إمبريقية) فيما يتعلق بنوعية الحياة لهذه الفئة من النساء، وذلك بالكشف عن صحة بعض قضايا الاتجاهين: المعرفي وما بعد المادي في فهم القضايا المتعلقة برؤية الأفراد للحياة وتفسيرها في ضوء الاتجاه المعرفي، كذلك فهم وتفسير نوعية الحياة وعلاقتها بأولوية الحاجات الإنسانية في ضوء الاتجاه ما بعد المادي "لانجلهارت"؛ حيث تم في هذا الاتجاه التركيز على حاجات الأفراد المختلفة وإشباعها.

٢. الأهمية التطبيقية

- تُعد دراسة نوعية حياة المرأة من الموضوعات المهمة التي تسهم في إعطاء صورة كاملة عن واقع المرأة المعيشي مما يساعد في وضع استراتيجيات تنموية وتمكينية للمرأة من قبل صانعي القرار؛ حيث تساعد الدراسة

صانعي القرار بوضع خطط مستقبلية فعلية من وجهة نظر أفراد الدراسة أنفسهم وليس من وجهة نظر المخططين فقط كما تسهم الدراسة في دعم جهود الدولة للنهوض بواقع نساء الحمرة.

ثالثاً- أهداف الدراسة:

تتلخص الأهداف البحثية لهذه الورقة فيما يلى:

١. تحديد الخصائص الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتعليمية لنساء الحمرة.

٢. تعرف المؤشرات الموضوعية المؤثرة في تشكل نوعية الحياة لدى نساء الحمرة.

٣. التوصل إلى المؤشرات الذاتية المتعلقة بتصورات نساء الحمرة حول الحياة.

رابعاً- تساؤلات الدراسة:

١. ما الخصائص الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتعليمية لنساء الحمرة؟

٢. ما أبعاد نوعية الحياة الموضوعية التي لها التأثير الأكبر على حياة نساء الحمرة؟

٣. كيف تفسر نساء الحمرة الواقع المعيشي، وما القيم الحاكمة لذلك في ضوء الرؤية الذاتية؟

خامساً- مفاهيم الدراسة:

١. مفهوم نوعية الحياة **The concept of the quality of life (QOL)**

على الرغم من تعدد البحوث التي أجريت على نوعية الحياة، إلا أنه لا يوجد إطار نظري تعريفي واحد لنوعية الحياة، أو أداة محددة لقياس نوعية الحياة. فقد تم تعريفها بشكل واسع لتتضمن موضوعات متعددة مثل الدخل والتعليم والمهنة ومستوى المسكن، وتم تعريفها بشكل ضيق من خلال علاقتها بمصطلحات تتعلق بالفردية والذاتية حيث تتضمن إدراكات نوعية الحياة عمومًا لدى الأفراد والخبرات الفردية والقيم، كما تضمنت مؤشرات قياسية مثل السعادة، ودرجات الرضا عن

الحياة، حيث يتضح ذلك أيضًا في النماذج المفسرة لنوعية الحياة التي لم تتسق أو تتوحد حول موضوعات واحدة، وتراوحت بين الاحتياجات المأخوذة من هرم "ماسلو" للحاجات الإنسانية (كالحاجات الفسيولوجية مثل العطش والجوع والراحة الجسمية، والحاجة للأمن، والحاجة للانتماء والحب، والحاجة إلى التقدير، والحاجة إلى المعرفة والفهم، والحاجة لتحقيق أو تعزيز الذات) إلى الحاجات الفردية مثل (الحياة النفسية السليمة، والسعادة، وارتفاع المعنويات، والتوقعات الاجتماعية أو الإدراكات الذاتية الخاصة)

ويمكن القول أن مصطلح نوعية الحياة من المصطلحات المتشعبة والتي يتم استخدامها في كافة العلوم الاجتماعية، حيث أطلق على هذا المصطلح مصطلح المظلة UMBRELLA TERM نظرًا لتضمنه عدد كبير من المفاهيم والمؤشرات القياسية المتعددة لعدد كبير من التخصصات العلمية (Land, et al., 2012, 7-8).

وترجع أصول المصطلح إلى الكلمة اللاتينيةQualities بمعنى "النوعية" والتي تشير إلى مجموعة خواص معينة كمية أو كيفية في موضوع بعينه، كما ترجع جذور مفهوم نوعية الحياة إلى الفلسفة اليونانية القديمة منذ وقت مبكر عند "أرسطو وسقراط وأفلاطون".(Cummins, 2000, 64)

أما عن ظهور مفهوم نوعية الحياة بشكل أكاديمي فيرجع إلى أدبيات القرن الثامن عشر حيث بدأ الاهتمام والتركيز على دراسة الذات وتحقيق السعادة والرضا كمؤشرات قياسية لنوعية الحياة، فيُشار إلى كتابات "كارل ماركس" Karl Marx باعتبارها من أوائل الاستخدامات العلمية للمفهوم في مجال العلوم الاجتماعية، حيث اهتمامه بدراسة الفروق في أسلوب الحياة بين الطبقات الاجتماعية المختلفة. كذلك أعمال "فرانسيس" Francis و"باتريك كولكهون" Colquhoun حيث تم اعتبار السعادة قيمة مركزية لقياس نوعية الحياة، في الوقت الذي تناولت فيه كتابات "فيليب كاى" Philip Kay و"شاتلورت" Shuttleort في جامعة مانشستر المفهوم لقياس مشكلات الطبقة العاملة وتأثير عدم المساواة في توزيع الدخل

والتعليم والصحة في ظهور المشكلات الاجتماعية (شمس، ٢٠١٨) حيث كان يُنظر لنوعية الحياة كتعبير عن رفاهية الفرد وشعوره بالرضا، فارتبط المصطلح بعدة مفاهيم منها الرفاهية Welfare الهناء الشخصي Well Being وإشباع الحاجات Static Faction وقياس التقدم Progress وظل مفهوم نوعية الحياة يعتمد على المؤشرات الكمية لقياس نوعية الحياة حتى أوائل القرن العشرين حيث بداية الاعتماد على المؤشرات الكيفية بجانب المؤشرات الكمية لتحديد نوعية الحياة كما حددها قاموس "بلاكويل" لعلم الاجتماع (عبد الجبار، ٢٠٢٢).

ولم يستخدم المفهوم بشكل مباشر في الأنثروبولوجيا إلا منذ ثلاثينيات القرن العشرين حيث تم التركيز على مكافحة الفقر والمرض كمؤشرات فعلية لنوعية الحياة، ومع ستينيات القرن العشرين تزايد الاهتمام بالمؤشرات الموضوعية لقياس نوعية الحياة ومع الثمانينات أصبح مفهوم نوعية الحياة من المفاهيم كثيرة التداول. حيث شهد المفهوم تحولًا نوعيًا وفقًا للاستناد على الكيف بجانب الكم وأحيانًا كبديل له (Snoek, 2000, 24).

أما فيما يتعلق بالكتابات الأنثربولوجية تحديدا، فقد ركزت الدراسات الأنثربولوجية على قياس الحالة التغذوية، والصحة البدنية والعقلية، ومستويات الجريمة والعنف، ودرجات عدم المساواة كمؤشرات لقياس نوعية الحياة. كما اهتمت بمعرفة كيف تؤثر الأعراف الاجتماعية على كل من الأوزان المعطاة لمختلف الاحتياجات البشرية للفرد، فهي تختلف من ثقافة لأخرى ومن مجتمع لآخر كما تختلف درجة وشكل نوعية الحياة وفقًا لخبرات الفرد وثقافته وبيئته الاجتماعية والأعراف والعادات الاجتماعية التي يخضع لها في المجتمع؛ حيث يسهم المجتمع والأعراف الاجتماعية في تشكيل تصور مشترك واعي عن شكل ونوعية الحياة المفضل لدى الفرد (Costanza, 2000)، ويقصد بمفهوم نوعية الحياة كمفهوم عام، تمثيل مدى تلبية الاحتياجات البشرية أو مدى إدراك الأفراد أو المجموعات لإشباع الاحتياجات وللرضا أو عدم الرضا في مجالات الحياة المختلفة.

كذلك تناول المفهوم في الأنثروبولوجيا من خلال مدخلين رئيسين أولهما: المدخل الإسكندنافي: والذي يهتم بدراسة الظروف الموضوعية، وثانيهما المدخل الأمريكي الذي يهتم بالجوانب الذاتية للحياة، والجدير بالذكر إن الدراسات الحديثة تقوم الآن بالمزاوجة بين المدخلين.(شمس، ٢٠١٨)

حيث تم تناول المفهوم حديثًا دراسة الأوضاع القائمة ومدى الرضا عن إشباع الحاجات وقياس الفقر، فينقسم المفهوم إلى جانبين للقياس أحدهما يرتبط بالعوامل الذاتية، والآخر بالعوامل الموضوعية، وتتمثل العوامل الذاتية Subjective في الرضا عن الذات والذي ينعكس في إدراك الأفراد وتقييمهم لحياتهم ومدى الرفاهية المادية والاجتماعية والسعادة والرؤية الإيجابية للذات والحالة الاجتماعية من وجهة نظر الفرد، بينما ترتبط العوامل الموضوعية Objective بقياس الإمكانات المادية للفرد كالدخل والظروف المعيشية للمسكن، ودرجة التعلم وغيرها (Bunting, B., 2003, 12-30) حيث تعتمد مؤشرات البُعد الموضوعي على تحديد الدخل الاجتماعي ووصف الظروف المعيشية والمسكن والتعليم والصحة وغيره (محمد، ٢٠٢١)؛ أي يمكن القول أن هذا المفهوم يمكن فهمه في ضوء جانبين، الجانب الأول الـ Macro وهو يعكس الجوانب الموضوعية للمفهوم والتي تتمثل في العوامل الكمية للدخل ومستوى السكن والتعليم والصحة والظروف المعيشية، بينما يُطلق على الآخر الـMicro ويعكس النواحي الذاتية التي تتمثل في رؤية الأفراد لكفاية الدخل والراحة في العمل ودرجات الرضا والسعادة ورؤية الحياة.

(شمس، ٢٠١٨)

وقد عرفته منظمة الصحة العالمية بكونه إدراك الأشخاص إلى مكانتهم في الواقع، ووضعهم في الحياة وذلك من خلال الاعتماد على العديد من المكونات منها الثقافة والقيم والنظام وكذلك أهدافهم وتطلعاتهم واهتماماتهم في ضوء تقيمهم لجوانب حياتهم (Bandand, 2004, 2).

وقد قدمت منظمة اليونسكو تعريفاً شاملاً لنوعية الحياة يُحدد أبعادها ومؤشرات جودتها، فحددت نوعية الحياة في عدة أبعاد منها: الصحة، التعليم، المسكن، الدخل، العلاقات، تقدير الذات، التدين والترفيه، حيث أشارت إلى أن جودة الحياة تتحقق بمدى الإشباع المادي والمعنوي المتوازن وما يترتب عن ذلك الإشباع من الرضا عن النفس وعن الحياة وإيجاد معنى حقيقي للوجود الإنساني فهي الكل المركب الذي يتألف من مجموعة من المؤشرات المتعلقة بالاحتياجات الإنسانية كالصحة المادية ودرجة الألم، والرضا عن الحياة وما يقوم به الفرد من أدوار اجتماعية، بالإضافة إلى العلاقات الشخصية المتبادلة والأنشطة المهنية واليومية التي يمارسها الفرد. (أبو الهيثم وآخرون، ٢٠٢١)

وقد حددت "**Bowling**"(*) نماذج مختلفة لقياس مفهوم نوعية الحياة:

أ. نموذج المؤشرات الاجتماعية لمستوى المعيشة (الصحة– الدخل– الثروة).

ب. نموذج رأس المال الاجتماعي وهو يعكس الشبكات الاجتماعية وعلاقات الأفراد والدعم والمشاركة الاجتماعية.

ج. نموذج الموارد البيئية حيث يتم قياس نوعية السكن وخصائصه والخدمات ووسائل النقل المتاحة والتكنولوجيا.

د. نموذج العوامل المعرفية ويقيس عوامل وملامح الاستقلال الذاتي والتكيف وإدراك الواقع

هـ. نموذج الرؤية الذاتية ويهتم بدراسة القيم الفردية للفرد (Bowling, 2007, 762).

(*) إن باتريشيا بولينج هي عالمة اجتماع وأكاديمية بريطانية وأيرلندية، متخصصة في الأبحاث المتعلقة بالشيخوخة ونوعية الحياة وأساليب البحث. طورت بولينج استبيان جودة حياة كبار السن المعترف به دوليًا. كانت بولينج مؤخرًا أستاذة العلوم الاجتماعية بجامعة ساوثهامبتون، حيث تعمل الآن أستاذًا زائرًا.

كما قدمت "فاراما" **(Vaarama, 2004)**(*) تحديدا أخر لمؤشرات نوعية الحياة مبينة ذلك فيما يلي:

١) الخصائص الفردية: السن، الصحة، القدرات المعرفية والعاطفية.

٢) العوامل الاقتصادية: الدخل، تكوين الأسرة.

٣) العوامل الاجتماعية: الشبكات الاجتماعية، معدل المشاركة المجتمعية.

٤) التغيرات في الحياة: الحوادث والأزمات، التغيير، الأحداث الجديدة.

٥) العوامل البيئية: المسكن، المرافق، وسائل الراحة.

٦) العوامل الشخصية: حرية الاختيار، الاستقلال.

٧) الصحة النفسية: المعنوية، الوحدة، السعادة، الارتياح النفسي (Vaarama,2004,122).

ويمكن القول أن علماء الأنثروبولوجيا قد حددوا وسائل قياس نوعية الحياة من خلال:

أ) تحديد الاتجاهات السائدة في الحياة ونوعية حياة الناس.

ب) معرفة نوعية الحياة الشخصية للفرد والاهتمام بالنواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للفرد.

ج) سؤال الأفراد عما يشعرون به في الحياة وما هي قيمهم؟ وما يهمهم ويشغلهم.

د) المقاييس الذاتية لمعرفة الجانب الحقيقي لنوعية الحياة وظروفها وما هو اتجاه الناس نحو هذه الظروف (أبو مساعد، ٢٠١٠).

(*) مارجا فاراما أستاذة العلوم الاجتماعية بجامعة لأبلاند بفنلندا. تشمل مجالات بحثها جودة الحياة في الشيخوخة، وجودة وأداء الرعاية طويلة الأمد لكبار السن

- التعريف الإجرائي لمفهوم نوعية الحياة:

تُعد نوعية الحياة بمثابة مفهوم كلي متكامل يهدف إلى قياس إشباعات حاجات الفرد الأساسية من خلال مجموعة المتغيرات المختلفة الموضوعية، كذلك تقييم الإشباعات الذاتية للفرد كدرجة القبول والرضا عن الحياة ومدى امتلاكه الإرادة لمواجهة الضغوط التي تواجهه في حياته، وكيفية تفسيرها، وفى ضوء ذلك سوف تحدد الدراسة الراهنة مجموعة من المؤشرات الموضوعية والذاتية، التي ستتبناها الدراسة لقياس نوعية الحياة لنساء الحمرة موضحة فيما يلى:

- مؤشرات القياس الموضوعي للدراسة: (المؤشر الاقتصادي لقياس الدخل– المسكن– الطعام، مؤشر العلاقات الاجتماعية، مؤشر الحالة التعليمية، مؤشر الصحة، مؤشر قضاء أوقات الفراغ وإدارة الوقت، مؤشر الأمان والسلامة).
- المؤشرات الذاتية للدراسة (رؤية الحياة والقيم الحاكمة للحياة من وجهة نظر العينة).

٢. مفهوم نساء الحمرة **Al- Hamra Women**:

هي تلك الفئة من النساء التي اضطرتهن الظروف الاجتماعية والاقتصادية للعمل في مهنة حمل الطوب داخل مصانع الطوب للإنفاق على أنفسهن وذويهن، ونساء الحمرة هو مصطلح معروف ومتداول ويستخدم داخل مصانع الطوب وفي المجتمعات التي يقوم جزء من الاقتصاد المعيشي بها على صناعة الطوب. فهن النساء اللائي يقمن بحمل الطوب الأحمر ونقله من بيت النار (داخل الفرن) إلى مقطورة التحميل (سيارات النقل)، ويُطلق عليهن الحمرة نسبة للون الطوب وهو للون الأحمر الذي يقمن بحمله، ولتميزهن عن الخضرة(*).

(*) فريق العمل المسؤول عن إعداد الطين اللين وتشكيله إلى قوالب الطوب وتهيئتها لدخول أفران الطوب لتجف وتُعتبر حرفة تقليدية تتطلب خبرة ومهارة يدوية، وهي مهنة تقتصر على الرجال في قرية الدراسة للاعتقاد بأنها تتطلب درجة عالية من الدقة والجودة في تشكيل الطوب اللين وطريقة تعريضه للهواء وصفه بزاوية محددة لا تفقده شكله المستطيلي، لذلك يعتقد أن النساء لا يمتلكن دقة الرجال وخبرتهن في هذه المهنة التي

وتعتبر نساء الحمرة جزء من فريق الحمرة الذي يتكون من مجموعة من العمال المختصين بحمل الطوب وهم عبارة عن عاملين اثنين من الرجال يُطلق عليهم "المحملاتية" وهم مَنْ يقمن بتحميل النساء الطوب على رؤوسهن، و"رئيس للعمال" والذي يختص بعمال الحمرة فقط ويُطلق عليه "ريس الحمرة" وهو من يقوم بتوفير العاملين للعمل بالمصنع حيث يقوم بإحضار النساء للعمل والتأكيد عليهن قبل العمل بيوم، وهو من لديه المعرفة بالعاملات في مجال حمل الطوب كما أنه المسؤول عن إحضار بديل في حال تغيب إحداهن، و"المراقب" وهو المسؤول عن إعداد الحسابات بالمصنع ويُسند إليه أيضًا مراقبة عمل النساء ومتابعتهم وتحديد الهالك من الطوب وتقييم عملهن.

٣. مفهوم الطوب **Building Bricks**:

يُعتبر الطوب مادة بناء طبيعية تستعمل في التشييد، عادةً ما تتخذ شكلًا مستطيلًا، ويتكون من مادة الصلصال والرمل والماء حيث يتم إحراقه في درجات حرارة عالية قد تتجاوز الألف درجة مئوية، حيث يتطلب أن تكون الطوبة على درجة مرتفعة من الصلابة ولا تتأثر بسهولة بالعوامل الجوية.

ترجع كلمة طوب إلى اللغة المصرية القديمة حيث كانت تنطق "دوب" ثم عُربت ونطقت "طوب" وهي كلمة من أصل هيروغليفي بمعنى "الحجر" وكان يُخصص الطوب الأحمر للمعابد وقصور الحكام إلى جانب أحجار الجرانيت في

تتطلب درجة مرتفعة من الكفاءة والمهارة والدراية بالإضافة أيضًا لكون حرفة الخضرة تتطلب عمال دائمين ومستديمي العمل وغير مؤقتين ويتم التأمين عليهم من الرجال. أما الحمرة فهي عمالة غير دائمة وموسمية حسب حاجة المصنع. وتبدأ صناعة الطوب عند فريق الخضرة بخلط الطين مع قليل من روث المواشي بواسطة الماء، ويوضع المزيج في قوالب خشبية في عملية تُسمى «دق الطوب» قبل أن يصب على شكل الطوبة اللبن الخضراء وتعقبها عملية الرص داخل الفرن بعد أن يجف قليلا والرّص يحتاج إلى خبرة إذ أن للطوب وضعًا معينًا فوق بعضه البعض وأي اختلال في رصه قد يؤدي إلى سقوطه وتلفه حيث تتم هذه الخطوة بحذر شديد.

عهد الفراعنة بينما كانت تُبنى مساكن عامة المصريين من الطوب اللبن (عبده، ٢٠٠٤).

وكان يُصنع الطوب في مصر القديمة من طمي النيل، فقد ظلت بيوت المصريين تُبنى بالطوب اللبن ويعلل عدم بناء منازل عامة المصريين القدماء بالطوب الأحمر لاعتقادهم بأن دار الخلود ليست في الحياة الدنيا فاكتفوا ببناء بيت الفرعون "البيت الكبير" بالحجر والطوب الأحمر اعتقادًا منهم بأن ساكنه (فرعون) هو بمثابة الإله أو ابن الإله وفقًا للعقيدة المصرية القديمة ولا يزال يُستخدم الطوب الأحمر في عدة دول منها اليمن والعراق (حواس، ٢٠١٩).

ويُطلق على أماكن صناعة في مصر أفران الطين، الطوبجية والقمائن، وكلها أسماء لأماكن صناعة الطوب وهي واحدة من أعرق وأقدم المهن التي عرفها المصريون وما زالوا يتوارثون أسرارها لاسيما المتعلق منها بانتقاء طين الأرض المناسب وكمية النار اللازمة للصناعة، وتتركز صناعة الطوب على جانبي نهر النيل وتتم في أفران بدائية يتم بداخلها حرق الطوب اللبن (عبده، ٢٠٠٤) وتصل استثمارات صناعة الطوب في مصر إلى حوالي ٤ مليارات جنيه ويتم سنويًا في مصر إنتاج ٢٥٠ مليار طوبة على نحو ٨٠ في المائة طوب أحمر طفلي، و٢٠ في المائة من الطوب الرملي والأسمنتي (مركز التعبئة والإحصاء، ٢٠٢١).

سادساً- الموجهات النظرية للدراسة:

للنظرية أهمية خاصة في البحث العلمي، فهي نسق مترابط من الأفكار والمفهومات والقضايا، فتقدم النظرية تفسيرات لمجموعة من الظواهر أو الحقائق المختبرة، والتي تعمل بمثابة قوانين عامة أو مبادئ عامة تحكم هذه المجموعة من الظواهر أو الحقائق، كما تكشف عن العلاقات السببية فيما بينها. وهي محاولة لإضفاء قدر من الفهم والتفسير للواقع، ومحاولة لتنظيم هذا العالم الذي يبدو أمامنا على درجة عالية من الاختلاط وعدم التنظيم (زايد، ١٩٩٤، ٢٢).

وفي ضوء ذلك سوف تستند الدراسة الحالية للاتجاهين: المعرفي، وما بعد المادي، للكشف عن نوعية الحياة لدى نساء الحمرة.

١. الاتجاه المعرفي:

يتناول الاتجاه المعرفي في الأنثروبولوجيا الطرق التي يتصور بها الناس الأحداث والأشياء في العالم ويفكرون بها؛ كما أنه يعمل على توفير رابطًا بين عمليات التفكير البشري والجوانب المادية والفكرية للثقافة، ويمتد هذا الاتجاه متجذر منذ كتابات "فرانس بواس" في النسبية الثقافية، وقد نشأ كاتجاه منفصل للدراسة في الخمسينيات من القرن الماضي، حيث سعى علماء الأثنوجرافيا إلى اكتشاف "وجهة نظر السكان الأصليين"، بالاعتماد على النظرة الداخلية لأعضاء الثقافة في تفسير رؤيتهم للأشياء حيث يحاول الاتجاه المعرفي الوصول إلى المبادئ المنظمة التي تكمن وراء السلوك البشري وتحفزه. (D'Andrade, 1995, 1).

ويهتم الاتجاه المعرفي في الفكر الأنثروبولوجي بالبحث عن الطريقة التي يفهم بها الأفراد العالم وكذلك تصوراتهم حول الحياة وكيف تتشكل هذه التصورات، فالاتجاه المعرفي يدرس ما يتصوره الناس، كطريقة تفكيرهم وإدراكهم للأشياء والمبادئ التي تكمن وراء هذا التفكير والتصور والإدراك، فالأفراد الذين يشتركون في تجربة ثقافية واحدة يحملون نسقًا معرفيًا موحدًا، وبالتالي يسهم الاتجاه المعرفي في فهم إدراك مجتمع الدراسة لذاتهم وللعالم (بدوي، ١٩٧٧، ٥).

ويرتكز هذا الاتجاه في تفسيره لجودة الحياة على فكرتين رئيسيتين:

الأولى- أن طبيعة إدراك الفرد هي التي تحدد شعوره بجودة الحياة.

والثانية- في إطار الاختلاف الإدراكي الحاصل بين الأفراد، فإن العوامل الذاتية هي الأقوى تأثيرًا من العوامل الموضوعية في درجة شعورهم بجودة الحياة (محمد، ٢٠١٨) فيركز الاتجاه المعرفي على التمييز بين النظرة الذاتية للباحث وبين الأسلوب الباطني الذي يحاول أن يكشف رؤية أفراد الدراسة للظروف التي تحيط بهم ووجهة نظرهم تجاهها (يحي، ٥٦,١٩٧٧) ويسعى البحث من خلال

الاتجاه المعرفي إلى محاولة معرفة فهم الأفراد للمواقف والحياة وكيفية إدراكهم لواقعهم المعيشي وتقييمهم لأنفسهم، وكيف يرون موقعهم في الحياة، وكيف يتم تفسير ذلك ومعرفة مدى قبولهم لواقعهم أو رفضه.

٢. اتجاه ما بعد المادية:

تُعد ما بعد المادية أداة في تطوير فهم الثقافة الحديثة.، ويمكن الاستعانة بها في ضوء ثلاثة مفاهيم متميزة لـ المادية، حيث النوع الأول- من المادية (المفهوم الاجتماعي) والذي يُشار إليه غالبًا بكلمة ما بعد المادية كنظام يتعلق بالرغبة في تلبية الاحتياجات المادية والتركيز على الكماليات المادية في المجتمع. والثاني- هو المفهوم المادي للتاريخ (المادية الجدلية) التي يتأثر به الكثير تأثرًا "بكارل ماركس" و "فريدريك أنجلز"، والبُعد الثالث– (المفهوم الفلسفي) لما بعد المادية ويتعلق بالحجة الفلسفية القائلة بأن الأمر هو الواقع الوحيد الموجود؛ أي دراسة وتصوير الواقع كما هي الحقيقة الوحيدة (انجلهارت، ٢٠٠٤، ٣٤)، وفي ضوء المفاهيم الثلاثة السابقة لما بعد المادية يمكن أن تكون ما بعد المادية وجودية، أو ما بعد المادية أخلاقية، أو ما بعد المادية اجتماعية، والتي هي البُعد الأكثر شهرة والذي تستند إليه الدراسة، فقد ظهرت هذه النظرية منذ السبعينيات وخاصة في المجتمعات التي شهدت تغيرات كثيرة على المستوى الاقتصادي، ففي كتاب الثورة الصامتة لعالم الاجتماع والأنثروبولوجيا الأمريكي "انجلهارت" (Inglehart, 1977)، أشار "انجلهارت" إلى انتهاء عصر القيم التقليدية والحاجات المتعددة كالحاجة للأمن الاجتماعي والغذاء والمأوى في الدول المتقدمة (انجلهارت، ١٩٩٥)؛ حيث افترض "إنجلهارت" أن الأفراد يسعون لتحقيق أهداف مختلفة في شكل يشبه النظام الهرمي؛ فعلى الرغم من أن الناس بصفة عامة يسعون إلى الحرية والفردية والاستقلالية، إلا أن الاحتياجات المادية والتي تُعد الأكثر إلحاحًا مثل: الجوع، والعطش، والأمن يجب أن تُشبع أولًا لأنها ترتبط مباشرةً بالبقاء، ووفقًا لتفسير "إنجلهارت" لهرم "أبراهام ماسلو" للحاجات والأهداف البشرية فعندما تسود الندرة، ستكون لهذه الأهداف المادية الأولوية على الأهداف ما بعد المادية مثل الانتماء، والاحترام، وغيره، ومع ذلك، بمجرد أن تصبح احتياجات البقاء على قيد

الحياة هذه أمرًا مفروغًا منه، سيتحول التركيز بشكل تدريجي إلى السلع "غير المادية" كالاحترام والمكانة والفن وغيره.(مايكل، ٢٠٠٠)

وفي هذا السياق ترى الباحثة انه يمكن توظيف هذه النظرية لفهم أن إشباع الحاجات الأولية والتي تنعكس في المؤشرات الموضوعية لنوعية الحياة كالطعام والمسكن والصحة وغيره هي من الحاجات المهمة والأساسية للأفراد؛ فعجز الأفراد عن إشباع الحاجات الأولية كالطعام والشراب والمسكن كما حددها "انجلهارت" والمستمدة من هرم "ماسلو" للحاجات سوف يجعل من الصعب محاولة تنمية أو إدماج هذه الفئة في المجتمع وتفعيل دورها بشكل إيجابي فلا يمكن الانتقال في ظل عجز السلع المادية (طعام وملبس وغيره) للسلع غير المادية (الاهتمام بتطوير الشخصية والمشاركة المجتمعية والرضا الفكري) فإشباع الحاجات الفيزيقية في ارتباطها بالحاجات الحيوية للأفراد يشكل أساسيات نوعية الحياة الجيدة لدى لأفراد لذلك فان تحسين نوعية الحياة يقتضى تجاوز الحاجات الأولية للفرد وإشباعها حتى يشعر الأفراد بالرضا فيما يتعلق بالمؤشرات الذاتية للحياة، فجودة الحياة من خلال المؤشرات الذاتية تتوقف على تحقيق الرفاهية في إشباع المؤشرات الموضوعية للحياة، فهي بمثابة توجه تنموي لإشباع احتياجات الأفراد يبدأ من الأسفل وينتهي للأعلى للنهوض بالمرأة.

سابعاً- الدراسات السابقة:

١. دراسة (أبو الهيثم وآخرون، ٢٠٢١) استهدف هذه الدراسة بصفة رئيسية التعرف على العوامل المؤثرة في نوعية الحياة للشباب الريفي الجامعي، وذلك من خلال: التعرف على مستوى الحياة ونوعية الحياة لدى الشباب الجامعي ومحاولة تفسير التباين الحادث في نوعية الحياة للشباب المبحوثين، وقد أجرى البحث على عينة ميدانية قوامها (٤٠٠) مبحوث من الطلاب والطالبات الريفيين بالفرقة النهائية من المرحلة الجامعية بجامعة طنطا، وقد جمعت البيانات عن طريق المقابلات الشخصية واستخدام استمارة الاستبيان بالإضافة لاستخدام البرامج الإحصائية في التحليل واستخراج النتائج، وقد تبين من نتائج الدراسة مدى تأثير

وسائل الاتصال الحديثة على نوعية الحياة لدى الشباب الريفي من خلال تغييرها للعديد من القيم وخلقها للعديد من الأفكار والمواقف الجديدة تجاه الحياة، أوصى البحث بضرورة الاهتمام بإجراء دراسات عديدة عن الشباب الريفي الجامعي والتعرف على أهم قضاياه فيما يتعلق بتحسين نوعية الحياة وأهمية دور الأسرة الريفية في تحسين حياة أبنائها في مرحلة الشباب.

٢. هدفت دراسة (شمس، ٢٠١٨) إلى التعرف على رؤية قاطني العشوائيات المنتقلين إلى حي "الأسمرات" لنوعية الحياة حيث تحاول الدراسة الإجابة على تساؤل رئيس مؤداه: كيف أثر الانتقالي المعيشي إلى حي "الأسمرات" بالقاهرة على رؤية سكان العشوائيات لنوعية الحياة. وقد استعانت الباحثة بوسائل كمية وكيفية لإجراء الدراسة، فقد الاعتماد على الاستبيانات لعينة من (٤٠٠) فرد من سكان حي "الأسمرات" بجانب المقابلات المتعمقة وبرامج التحليل الإحصائي SPSS، وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج لعل أهمها: أن نقل قاطني العشوائيات لحي "الأسمرات" كانت نقلة لتحسين مستوى الحياة والدخل إلا أن سكان حي "الأسمرات" يعانون من البطالة والعوز والفقر وعدم الدخل، لعدم توافر فرص عمل بالمنطقة، كذلك تتميز المنطقة بالنظافة والأمن وتوافر شبكة الخدمات الاجتماعية والبنية التحتية وقد قدمت الدراسة عدد من التوصيات منها ضرورة الاهتمام بإنشاء مشروعات اقتصادية داخل أماكن الإقامة الجديدة.

٣. دراسة (الحايس والنصيبية، ٢٠١٦) حاولت هذه الدراسة التعرف على مستوى الحياة لدى السكان المحليين بالمناطق السكانية المجاورة لمنطقة الخدمات اللوجستية بولاية بركاء بسلطنة عمان، ومعرفة تصوراتهم حول برامج التنمية المتاحة بالمنطقة حيث انتهج المجتمع العماني سياسات تنمية اعتمدت على التخطيط الاستراتيجي طويل المدى، وقد استندت الدراسة إلى المنهج الوصفي معتمدة على المسح الاجتماعي بأسلوب العينة وقد بلغت عينة الدراسة (١٠٠٠) مفردة، وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج لعل من أهمها: أن توجه الدولة نحو تأسيس

مشاريع تنموية كبرى ساهم في رفع معدلات الرضا عن نوعية الحياة، وتحسين الدخل من خلال اندماج السكان في الأنشطة الداخلية والخارجية وتطور خدمات البنية الرئيسية وبالتالي تحسن نوعية الحياة.

٤. دراسة (الشايب، ٢٠١٥) تهدف الدراسة إلى التعرف على أثر التحولات الاقتصادية والاجتماعية للقرية على نوعية الحياة الصحية، وقد انطلقت الدراسة من مدخل نوعية الحياة كإطار نظري. حيث تم إجراء الدراسة بـ"قرية البراجيل" التابعة لمركز "إمبابة"، واعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وجود تباعد بين المعايير العالمية للصحة والواقع الاجتماعي؛ فتعاني القرية من الاستبعاد الاجتماعي كما تعيش نوعية حياة صحية غير جيدة، فتفتقر إلى الكثير من الخدمات الأساسية كمطلب للحياة الصحية، وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج منها أيضًا: التباعد بين المعايير العالمية للصحة والواقع الاجتماعي كنتاج لعدة عوامل يأتي في مقدمتها البيئة الفيزيقية فتعاني القرية من الإهمال إذ تفتقر إلى الخدمات الصحية، وتعاني من تلوث مياه الشرب، وسوء المرافق، وعدم الاهتمام بنظافة الشوارع وتلوث الترع، إلى جانب تلوث المحاصيل الزراعية، وهي أمور تنعكس كلها على صحة الإنسان، وبهذا يسهم اختلال البنية التحتية للقرية في ابتعاد معايير الصحة العالمية عن الواقع. كذلك انتشار الممارسات الخاطئة المتوارثة من الثقافة التقليدية، ومن هذه السلوكيات: إلقاء القمامة في الشارع وعلى جانبي الترع، والاستحمام في الترعة، وغسل أواني الطعام فيها، وتنظيف الحيوانات، وإلقاء الحيوانات النافقة على جانبي الترع وغير ذلك، حيث اعتياد العيش في هذا المناخ البيئي الملوث.

٥. دراسة (عرفان، ٢٠٠٧) استهدفت الدراسة تحديد المؤشرات التخطيطية التي تسهم في تحسين نوعية حياة المسنين والمرتبطة بطبيعة العلاقات الاجتماعية للمسن، كذلك العلاقة بين المشاركة المجتمعية للمسن والرضا عن الحياة والتمتع بها

وكيف يرتبط تقديم الرعاية الصحية للمسن بزيادة القدرة المالية، وتوصلت نتائج الدراسة إلى انخفاض الحضور المجتمعي لفئة المسنين، وضعف العلاقات الاجتماعية والمشاركة الاجتماعية للمسنين، وضعف درجات الرضا عن حياتهم والتمتع بها، بجانب ضعف قدرة المسنين على التمتع بالصحة الجسدية والعقلية وكذلك انخفاض القدرة المالية لديهم (عرفان، ٢٠٠٧).

٦. هدفت دراسة **(Akranavičiūtė, 2007)** إلى معرفة تأثير حياة العمل للموظف ودورها في تشكيل جودة الحياة وارتباطها بالصحة البدنية والعقلية للفرد، ودرجة الاستقلال، والعلاقة الاجتماعية مع البيئة والعوامل الأخرى. وعرفت الدراسة تقييم نوعية الحياة وفق نظام القيم الخاص بالفرد. حيث يمكن تعريف نوعية الحياة العملية على أنها استراتيجيات مكان العمل والعمليات والجمع بين البيئات، مما يحفز الرضا الوظيفي للموظف. كما أنها تعتمد على ظروف العمل وكفاءة المنظمة. وقد اعتمدت الدراسة على نموذج لتحديد نوعية الحياة قائم على سبعة عوامل ومؤشرات وقد تم استخدام هذا النموذج في الدراسة لتقييم نوعية الحياة، ونوعية الحياة العملية للموظفين حيث تم مسح (٢٦) رجلاً و (١٥) امرأة يعملون في منظمة صناعية متوسطة الحجم. طُلب منهم تقييم عدة مجالات من QOL وهي: الحالة الجسدية، والحالة المادية، والحالة العاطفية، والعلاقة الاجتماعية، والتعليم وتحسين الذات، والتعبير عن الذات، والأمان، والسلامة والبيئة، وتظهر نتائج البحث أن المنظمة المدروسة لديها إمكانيات لزيادة جودة حياة موظفيها وولائهم من خلال تحسين ظروف العمل والبيئة، كما تؤثر القيمة العالية لجودة الحياة العملية بالمؤسسة بشكل مباشر على جودة الحياة العامة لعينة الدراسة.

٧. هدف بحث **(Marshall, M., 2005)** إلى معرفة وقياس نوعية الحياة عبر الثقافات لتحديد جودة الحياة بصورة أكثر شمولاً ومعرفة وتحديد مؤشرات الرضا عن الحياة والرفاهية الشخصية، وقد ركز البحث على ضرورة إيلاء اهتمام دقيق للفروق الدقيقة في اللغة والسياق الاجتماعي والثقافي في كل ثقافة على حدة

ومعرفة مدى اختلاف مقياس مؤشرات نوعية الحياة من مجتمع لآخر وفقًا للمفاهيم الاقتصادية والثقافية السائدة بالثقافة عن الرضا والرخاء، وضرورة مراعاة ذلك في ترجمة الاستبيانات وتنفيذ البحوث، وضرورة أن تتضمن الاستكشافات المستقبلية لمفهوم نوعية الحياة بيانات نوعية وإثنوغرافية لضمان تمثيل مناسب للسياق الاجتماعي والعاطفي المحيط بمفاهيم الرفاهية والرضا عن الحياة وفقًا لثقافة كل مجتمع؛ حيث توصلت نتائج الدراسة إلى أن النهج الذي يركز على المعنى لفحص جودة الحياة سيسهل فهم طبيعة نوعية الحياة وتأثيرها على الأفراد والأسر من خلفيات ثقافية مختلفة.

٨. كان الهدف من دراسة **(Guallar, 2005)** هو فحص مساهمة العوامل الاجتماعية والديموغرافية، ونمط الحياة، والشبكة الاجتماعية، واستخدام خدمات الرعاية الصحية في تحسين نوعية الحياة المرتبطة بالصحة (HRQL) للنساء، مقارنةً بالرجال الأكبر سنًا في إسبانيا. تم جمع البيانات من خلال مقابلة شخصية منزلية وفحص جسدي لـ (٣٢٦٠) شخصًا يمثلون السكان الإسبان الذين تتراوح أعمارهم بين (٦٠) عامًا وأكثر؛ تم تقييم HRQL باستخدام استبيان الصحة. وتبين من الدراسة أن نسبة احتمالات الصحة دون المستوى الأمثل بين النساء مقابل الرجال؛ حيث تبين أن العوامل الاجتماعية والديموغرافية ونمط الحياة قد تفسر جزءًا كبيرًا من الاختلافات بين النساء والرجال في بعض أبعاد HRQL؛ كذلك فإن العوامل التي تفسر الاختلافات في الحالة الصحية قد تختلف عبر دورة الحياة لأن عدد النساء مقارنة بالرجال يزداد مع تقدم العمر مما يبرر نقص الاحتياجات الصحية للنساء عن الرجال.

- **موقف الدراسة الراهنة من الدراسات السابقة:**

أتضح أن هناك العديد من نقاط الاختلاف والاتفاق ما بين هذه الدراسة الراهنة والدراسات السابقة من حيث الإشكالية والإجراءات المنهجية والهداف ومجتمع الدراسة.

١. فيما يتعلق بعينة الدراسة، تتعدد الدراسات التي تناولت المرأة ونوعية الحياة إلا أن هذه الدراسة تتسم بتفردها في عينة الدراسة؛ حيث التعرف على نوعية الحياة لنساء الحمرة.

٢. هناك أتفاق بين الدراسة الراهنة والدراسات السابقة من حيث موضوع البحث (نوعية الحياة) كدراسة Patricia, A., Marshall (2005)، وعبد الوهاب الحايس (٢٠١٦) في الاهتمام بتناول نوعية الحياة ومؤشراتها إلا أن هناك اختلاف في مجالات التطبيق حيث تمت هذه الدراسات في مجتمعات متباينة ومختلفة عن المجتمع المصري، كذلك الاختلاف في الإجراءات المنهجية المتبعة كدراسة أمل عبد الفتاح (٢٠١٨) لحى "الأسمرات"، ودراسة Guallar (2005).

٣. من حيث أهداف الدراسة تتشابه الدراسة الراهنة مع العديد من الدراسات السابقة فقد أولت دراسة محمد غنيم الأهمية لمعرفة الخصائص الاجتماعية والثقافية لعينة الدراسة، كذلك دراسة نهى السيد (٢٠٢١) في محاولة معرفتها للمشكلات الاجتماعية المرتبطة بنوعية الحياة لدى الشباب، وهو ما يتشابه مع أهداف الدراسة الراهنة.

٤. تختلف الدراسة الراهنة مع العديد من الدراسات السابقة من حيث نوع الدراسة وتوجهها النظري، حيث تنتمى أغلب الدراسات السابقة لعلم الاجتماع، إلا أنها تتشابه مع دراسة نجوى الشايب (٢٠١٥)؛ حيث تعتبر من الدراسات الانثربولوجية القليلة التي أعطت أهمية لدراسة نوعية الحياة وإن اختلفت هذه الدراسة معها في المؤشرات الموضوعية لنوعية الحياة وفقاً لطبيعة الموضوع.

٥. تتشابه الدراسة الراهنة مع بعض الدراسات السابقة في المزج بين الاتجاهين الكمي والكيفي في الدراسة كدراسة Akranavičiūtė Dalia (2007).

يتضح مما سبق أن دراسة نوعية الحياة قد حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين، كظاهرة هامة يهتم بدراستها العديد من الباحثين وفى مختلف المجتمعات، إلا أن ما يميز الدراسة الراهنة هو اختيارها لعينة الدراسة (نساء الحمرة) كذلك اتخاذها منحى تكاملي (كمي- كيفي) في الدراسة من خلال المنهج الانثربولوجى، بالإضافة لعدم إهمالها تقديم مقترح لتحسين نوعية الحياة.

المبحث الثاني- الإجراءات المنهجية للبحث:

أولاً- نوع الدراسة:

تنتمى هذه الدراسة للدراسات الإثنوغرافية الوصفية والتحليلية، حيث تهدف الدراسة إلى وصف وقياس نوعية الحياة لدى نساء الحمرة من خلال المؤشرات الموضوعية لنوعية الحياة (الدخل- التعليم- المسكن- الصحة- العلاقات الاجتماعية- سلامة العمل- أوقات الفراغ وإدارة الوقت، والمؤشرات الذاتية (الرضا عن الحياة- القيم الحاكمة للحياة).

ثانياً- مناهج البحث وأدواته:

اعتمدت الدراسة على عدد من الأدوات البحثية منها:

١. الملاحظة: حيث تم ملاحظة ووصف البيئة وطبيعة العمل وغيره.

٢. الملاحظة بالمشاركة: حيث إقامة الباحثة في مجتمع البحث قرابة الثلاثة شهور، ومشاركتها أحيانًا في بعض الأعمال بمجتمع الدراسة.

٣. الاستبيان: تعمل الدراسة على المزاوجة ما بين المنهج الكمي والكيفي في بعض مؤشرات نوعية الحياة حيث استدعت بعض المؤشرات الاستناد للنتائج الكمية لزيادة توضيحها، وقد صُممت الاستبانة لقياس بعض جوانب الدراسة والتعبير عنها بمؤشرات كمية تأكيد للمنهج الكيفي في دراسة نوعية الحياة.

٤. المقابلات: حيث تم التركيز على دراسة الجوانب الموضوعية من نوعية الحياة للتحليل الكيفي وقد أُجريت المقابلات على فترات مختلفة استغرقت مدة كل مقابلة حوالي ساعتين، ودار النقاش حول عدة موضوعات متعلقة بالدخل والظروف المعيشية والإنفاق وشكل السكن وطبيعة العلاقات الاجتماعية إلى أخره.

٥. الاعتماد على الإخباريين: فقامت الباحثة أثناء إعداد البحث بتنفيذ العديد من المقابلات مع المبحوثين من خلال الاعتماد على العديد من الإخباريين من ذوي الخبرة، والذين يعدون بمثابة بوابة الباحثة لدخول مجتمع الدراسة، والتي رأت الباحثة توافر الذاكرة القوية لديهم، والدراية التامة بعينة الدراسة، فقد اعتمد البحث على هؤلاء الإخباريين في جمع المادة الإثنوجرافية، فالإخباري هو مصدرًا رئيسًا تستقي منه البيانات حول مجتمع الدراسة وتوفير العينة المناسبة، وقد بلغ عدد الإخباريين بالدراسة حوالي (٦) إخباريين متنوعي الحالة العمرية (شباب- كبار السن) والحالة النوعية (أناث- ذكور) والحالة التعليمية (أمي- يقرأ ويكتب- تعليم متوسط- تعليم عالي) والحالة المهنية (مزارع- عامل- ربة منزل- مهنة متخصصة).

٦. دليل العمل الميداني: صمم دليل للعمل الميداني لجمع البيانات في ضوء المقابلات، وقد اشتمل على عدة محاور؛ حيث يتناول المحور الأول وصف مجتمع الدراسة، ويتناول المحور الثاني العوامل الموضوعية لنوعية الحياة بينما يتناول المحور الثالث المؤشرات الذاتية لنوعية الحياة.

ثالثاً- مجالات الدراسة:

١. المجال الزماني للدراسة:

استغرقت الدراسة الحقلية قرابة الثلاثة أشهر، إذ بدأت في أوائل شهر يونيو وانتهت في شهر أغسطس، وقد بدأت هذه الدراسة بدراسة استطلاعية، وكان ذلك في شهر يونيو، وهدفت إلى التعرف على طبيعة مجتمع البحث، وقد أسفرت الدراسة الاستطلاعية عن تحديد القرية وتحديد الوقت المناسب لإجراء الدراسة بعيدًا

عن مواسم جمع بعض المحاصيل بالقرية والتي تقل فيها عمالة النساء وتكاد تختفي في المصانع لانشغالهن بجمع المحاصيل في الأراضي الزراعية.

٢. المجال البشرى للدراسة:

تتكون عينة الدراسة من (٢١) امرأة (من أصل ٥٠ امرأة) يقمن جميعًا بالعمل بحمل الطوب بمصانع الطوب بقرية "الشناوية"، وتعتبر هذه العمالة من النساء (نساء الحمرة) عامة غير ثابتة فهي قد تنتقل من مصنع لآخر حسب الاتفاق مع العاملين بالمصانع وحسب حاجة المصانع حيث يتم الاتفاق معهم على العمل بشكل أسبوعي، والذي يختلف وفقا لعملية الإنتاج الخاصة بالمصنع وحاجته لعدد معين من النساء لحمل الطوب، كما أن هذه العينة غالبًا ما تعمل في المواسم الزراعية في جني المحاصيل الزراعية كالفاصوليا والبطاطس والبصل وهي من المحاصيل المنتشرة بالقرية حيث يعتبر جني المحاصيل عمل موسمي يرتبط بشهور وأيام معينة فقط في السنة مما يصعب على أفراد العينة الاكتفاء به، أما العمل بحمل الطوب فهو عمل دائم وخاصة مع تعدد مصانع الطوب، كما يتميز بارتفاع الدخل مقارنة بجمع المحاصيل وغيره بالقرية.

ويتضح من الجدول التالي الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لعينة الدراسة موضحة كما يلي:

جدول (١)

يوضح الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لعينة الدراسة (إعداد: الباحثة)

م	السن	مستوى الدخل التقريبي	الحالة الاجتماعية	مؤهل الأب	مهنة الأب	مهنة الأم	مهنة الزوج	دخل الزوج أو العائل	الحالة التعليمية	المسكن
ص٠م	٢٠	١١٠٠	مخطوبة	أمي	عامل بمصانع الطوب	لا تعمل	عامل بالمصنع	١٢٠٠	الابتدائية	شقة إيجار
ر٠ش	٢٢	١٢٠٠	متزوجة تعول طفلين	أمي	عامل بالمصانع	لا تعمل	مسجون	لا يوجد	الإعدادية	مع أهل الزوج
س٠م	٣٣	١٠٠٠	متزوجة وتعول ٣ أبناء	أمي	عامل بالمصانع	لا تعمل	عامل بناء	٦٠٠-٨٠٠	غير متعلمة	مع أهل الزوج
ص.م	٢١	١١٠٠	متزوجة تعول ٣ أبناء	أمي	عامل بالمصانع	بائعة خضروات	سباك	٩٠٠	غير متعلمة	مع أهل الزوج
ج.أ	٤٠	٩٠٠	أرملة تعول ٥ أبناء		لا يعمل	بائعة خضروات	متوفي	لا يوجد	غير متعلمة	مع أسرتها
م.م	٤٤	١٢٠٠	مطلقة تعول ٥ أبناء	أمي	متوفي	متوفية	مزارع	عمل موسمي	غير متعلمة	مع أسرتها
ل.ن	٤٣	١٥٠٠	أرملة تعول ٤ أبناء	أمي	عامل نظافة بمدرسة	لا تعمل	متوفي	٥٠٠ جنيه معاش	غير متعلمة	مع أسرتها
م.ع	٣٩	١٢٠٠	متزوجة تعول ٦ أبناء	أمي	عامل بقهوة	متوفية	أُجري	عمل موسمي	غير متعلمة	مع أهل الزوج
ص.م	١٨	١٤٠٠	متزوجة تعول طفلين	أمي	لا يعمل	بائعة طيور	عامل محارة	٨٠٠-١٠٠٠	الإعدادية	شقة إيجار
م.ع	٤٠	١٢٠٠	مطلقة تعول ٣ أبناء	أمي	متوفي	بائعة خبز	لا يعمل	لا يوجد	غير متعلمة	عند أقاربها
ص.أ	٢٤	١٥٠٠	مطلقة	أمي	عامل بالمصنع	عاملة بالمصنع	أجري	أجر موسمي	دبلوم تجاري	عند أسرتها

			تعول ٣ أبناء						
ن.أ	١٥	٩٠٠	مخطوبة تعول الأب والإخوة	أمي	عامل بمصانع الطوب	لا تعمل	عامل بالمصنع	١٢٠٠	الابتدائية	بيت العائلة
ر٠أ	٢٦	١٣٠٠	متزوجة تعول ٣ أبناء	أمي	عامل بالمصانع	لا تعمل	لا يعمل	لا يوجد	أمية	مع أهل الزوج
ل.م	٣٣	١١٠٠	متزوجة تعول ٤ أبناء	أمي	عامل بالمصانع	لا تعمل	عامل بناء	٨٠٠	غير متعلمة	مع أهل الزوج
ص.م	٢٩	١١٠٠	متزوجة تعول ٤أبناء	أمي	عامل بالمصانع	عاملة بالمصنع	عامل بالمصنع	١٨٠٠	غير متعلمة	مع أهل الزوج
ن.أ	٤٤	٩٠٠	أرملة تعول ٢ من الأبناء	أمي	لا يعمل	متوفية	متوفي	لا يوجد	غير متعلمة	مع أسرتها
م.أ	٤٨	١٢٠٠	مطلقة تعول ٦ آبناء	أمي	متوفي	بائعة خضروات	مزارع	أجر موسمي	غير متعلمة	مع أسرتها
ب.ن	٤٣	١٥٠٠	أرملة تعول ٥ أبناء	أمي	عامل نظافة بمدرسة	لا تعمل	متوفي	لا يوجد	غير متعلمة	مع أسرتها
أ.ع	٣٩	١٢٠٠	متزوجة تعول ٦ أبناء	أمي	أجري	متوفية	أجري	لا ينفق (مدمن)	غير متعلمة	مع أهل الزوج
ص.س	٢٢	١٥٠٠	متزوجة تعول طفلين	أمي	لا يعمل	بائعة خبز	خباز	١١٠٠	إعدادية	شقة إيجار
م.س	٤٣	١٢٠٠	مطلقة تعول أربعة أبناء	أمي	متوفي	بائعة طيور	لا يعمل	لا ينفق	غير متعلمة	مع الأسرة
ص.أ	١٨	١٥٠٠	مطلقة تعول طفلين	أمي	عامل بالمصنع	بائعة منتجات غذائية	أجري	لا ينفق	دبلوم تجاري	عند أسرتها

من خلال الجدول السابق يتضح أن الفئة العمرية لمجتمع الدراسة تتراوح ما بين الـ (١٥) والـ (٤٨) عام، كما يتضح انخفاض مستوى الدخل حيث يتراوح مستوى الدخل ما بين (٩٠٠) جنية إلى (١٥٠٠) جنية، كما يتبين أن كلهن من النساء المعيلات لأسرهن وأبنائهن، كما يتضح أيضًا انخفاض المستوى التعليمي لأفراد العينة، وكذلك انخفاض المستوى التعليمي للأسرة الأولية لأفراد العينة (الآباء والأمهات)، وكذلك الانخفاض في مؤشر المهنة للأسرة والزوج. فيمكن القول أن مجتمع الدراسة هو انعكاس للشريحة الدنيا في المجتمع. كما يتضح من الجدول السابق أن هناك عدة عوامل قد أدت إلى ظاهرة نساء الحمرة، وقد تحددت هذه العوامل كما هو مبين بالجدول في غياب العائل أو وفاة الزوج، الطلاق، هجر الزوج، قلة دخل العائل، إدمان الزوج، كبر حجم الأسرة مقارنة بالدخل مما أدى إلى قيام المرأة بإعالة الأسرة، يتزامن ذلك مع انخفاض مستوى التعليم حيث انتشار الأُمية بالعينة مما يقلل من فرص هذه الشريحة في القدرة على تحسين المستوى الاجتماعي كما هو مبين في جدول عينة الدراسة.

يوضح الجدول التالي مدة عمل عينة الدراسة بمهنة حمل الطوب لإعالة أسرهن:

جدول (٢)
مدة عمل المبحوثة في حمل الطوب (إعداد: الباحثة)

مدة العمل في حمل الطوب	من عام إلى ٥ أعوام	من ٦أعوام إلى ١٠ أعوام	أكثر من ١٠ أعوام
النسبة	%٣٣	%٢١	%٤٦

يتضح من الجدول السابق أن أغلب أفراد العينة بنسبة ٤٦% يقمن بالعمل في مهنه حمل الطوب لإعالة أسرهن منذ أكثر من عشر سنوات مما يمكن تفسيره بعجز هذه الفئة عن تطوير أنفسهن، وتغيير طبيعة عملهن الشاقة؛ كما تؤكد هذه النسبة استمرار ظاهرة تحمل المرأة لنفقات الأسرة وإعالتها، مما يتفق مع المؤشرات

الاجتماعية العالمية المعروفة والمتعلقة بزيادة معدلات الطلاق والتفكك الأسرى والهجر وإعالة المرأة للأسرة وخاصة في البيئات الفقيرة.

٣. المجال المكاني لمجتمع الدراسة:

أ. الموقع الجغرافي لوحدة الدراسة:

تقع قرية "الشناوية" بمركز ناصر، والذي يتوسط مركزي الواسطي شمالا وبني سويف جنوبًا يحده من الشرق نهر النيل والبحر الأحمر من الغرب الصحراء الغربية ومحافظة الفيوم، ويضم مركز ناصر قرية الشناوية ومدينة بوش كما يتبعه عدة قرى أخرى منها قرية دلاص وأشمنت وطنسا وبهبشين وطحا بوش، وبوش التي تُعد بمثابة عاصمة المركز، وقد ضمت حديثا الشناوية إلى بوش (ناصر غرب) تحت مسمى مركز ناصر وتبعد قرية الشناوية (ناصر شرق) عن القاهرة حوالى ١١٠ كم، وعن مدينة بني سويف عاصمة المحافظة حوالى ٩ كم، كما تبعد قرية الشناوية عن محافظة الفيوم حوالي ٥٠ كم، وقرية الشناوية هي من القرى القديمة، وردت في قوانين ابن مماتي محرفة باسم البشارية، أُلغيت وحدتها في الروك الناصري، وأُضيف زمامها إلى قرية الزيتون ثم فصل منها في العهد العثماني، وقد وردت في دفتر المقاطعات سنة (١٠٧١هـ)، باسم شنوية ولاية البهنساوية، وفي تاريخ سنة (١٢٣٠هـ) وردت باسمها الحالي وهو القديم (رمزي، ١٩٩٤، ١٥٢)، وقد ركز البحث على "قرية الشناوية والتي تبلغ المساحة المأهولة بالسكان حوالى ١٨٤ كيلومتر، بنحو ٥١١ نسمة (مركز المعلومات، الوحدة المحلية لقرية الشناوية، ٢٠٢٠)، ويرجع اختيار القرية موضوع البحث إلى عدة أسباب لعل أهمها دراية الباحث بالقرية حيث معرفة مالكي المصانع الخاصة بصناعة الطوب الأحمر بالقرية مما يسهل إجراء الدراسة، كذلك انتشار مصانع الطوب الأحمر بالقرية، حيث تُعد من أكثر القرى امتلاكًا لمصانع الطوب فيوجد بها حوالي ٩ مصانع وهو عدد كبير مقارنة بباقي قرى المحافظة، بالإضافة لاستمرار ظاهرة عمل النساء بمهنة حمل الطوب بالقرية، رغم اختفائها جزئيًا في أغلب القرى المجاورة.

ويرجع مبررات اختيار مجتمع الدراسة إلى خبرة الباحثة بالمجتمع وعلمها بانتشار النساء العاملات بقطاع المصانع في مجتمع الدراسة، كذلك سهولة إجراء الدراسة بالقرية لدراية الباحثة بتفاصيل القرية ومعرفتها بمالكي المصانع بالقرية.

ب. وصف المصنع:

تقع مصانع الطوب الأحمر بزمام قرية الشناوية على نهر النيل حيث تستخدم مياه النهر في تشكيل الطوب بدأ من عملية تكوين عجينة الطوب (الطفلة) اللينة حتى الاعتماد عليه في التخلص من مخلفات الطوب الأحمر (الهالك) التي تعرضت للتلف بالكسر (أرباع وأثمان قوالب الطوب التي لا تُباع) وتتعدد المصانع التابعة لقرية الشناوية، حيث ينتشر بها ٩ مصانع لصناعة الطوب، وتعمل عينة الدراسة في جميع المصانع فهي عمالة متنقلة بين المصانع حسب حاجة المصنع لعدد معين من العمال وفقًا لطلب الإنتاج به. وتتراوح مساحة المصنع ما بين ٢٥ ألف متر، إلى ٦٦ ألف متر، ويحوي كل مصنع مدخنة واحدة في الغالب أو مدخنتين على أكثره، والمدخنة عبارة عن بناء اسطواني ضيق يرتفع عن الأرض بنحو ١٥مترًا، كما يحوي المصنع فرن(*) لحرق الطوب اللين لتكوين الطوب الأحمر في شكله النهائي المعروف، ويكون طول الفرن حوالي ٦٠ متر وهو مستطيل الشكل وله ضلعان بيضاويان بعرض ١٠ متر تقريبًا، وله خمسة أبواب على يمين ويسار الفرن. وهو مكان حرق الطوب بإضافة مواد محددة للحرق كـ (المازوت)، ويترك أيضًا بداخله الطوب للتهوية من خلال مجاري هوائية مُعدة لذلك، وتعتبر المنطقة المقام عليها المصانع بالقرية من المناطق الزراعية الخصبة التي تم إنشاء المصانع عليها منذ السبعينيات قبل صدور قرارات تجريم البناء على الأراضي الزراعية، وإتلاف النيل برمي المخلفات الصناعية، حيث أن الهالك من الطوب الأحمر المُلقى في النهر منذ بداية الثمانينات إلى الآن قد أضاف قرابة فدان أو أكثر من مساحة النيل إلى كل مصنع على حدة. وقد أُجريت الدراسة في ثلاث مصانع كانت العاملات من عينة الدراسة يتنقلن بينهن للعمل أثناء إجرائي للدراسة.

(*) "الطوبجية" و"القمائن" و"أفران الطين" كلها أسماء لأماكن صناعة الطوب.

ج. وصف الحياة اليومية لنساء الحمرة:

مع آذان الفجر وربما قبله بقليل تبدأ سيارات النقل التي ستحمل العاملين إلى المصانع في الاصطفاف على جانب الشارع الرئيسي بالقرية (الزراعية)، حيث خُصصت سيارة للرجال وأخرى للنساء، وماهي إلا لحظات بسيطة وتتسلل العاملات واحدة تلو الأخرى، ليجلسن بجوار إحدى جدران المنازل الملاصقة للسيارة ويشرعن في تناول فطورهن اللائي قمن بإحضاره من بائعات الفول والطعمية أثناء مرورهن عليهن قدومًا، تطل شرفة حجرتي على الشارع المصطف فيه سيارات النقل، ومع قدوم أول واحدة منهن استعد للنزول إليهن في الشارع لتبدأ دراستي لهن منذ بداية اليوم، بجوار سيارات النقل يوجد محل بقالة صغير يحوي منتجات بسيطة ربما لم تعد تُباع غير في القرى، تذهب صباح لتشتري إفطارها، أسير بجوارها وأسالها ماذا ستشتري (ظننًا مني أن تشتري بعض البسكويت أو الحلوى)، وقفت أمام محل البقالة الصغير وطلبت من صاحبه قائلة (اديني فطيرة بنص جنية، وحتة بسبوسة بنص جنيه) ثم أخذت قطعة البسبوسة وقامت بدهسها بأصابعها المشققة من حمل الطوب بمنتصف فطيرة من الخبز (الفين) وتناولتها على عجل، تتبعتها بعيني بنصف ابتسامة تعلوها الدهشة فأجابتني (حاجة أشق بيها ريقي نفسي مش جيباني على الطعمية النهاردة)، على بُعد عدة أمتار تجلس هناء وهي فتاة عشرينية تستعد للزواج وتقوم بتجهيز ذاتها تتناول على عجل رغيفين من الخبز الأسمر وقرصان صغيران من الطعمية، وقد قذفت بلقيماته إلى فمها وهي تناديني مُشيرة لي بمشاركتها طعامها (تعالي يا أبله اتفضلي) فأشكرها فتكرر حديثها وقد اكتظ فمها بالطعام (لتكوني بتأنفي، دي طعمية سخنة لسه طالعة من الزيت ملهلبة، والختمة إيديا نظيفة) فأكرر شكري مُعللة بأنني قد سبقتها بالمنزل. على مقربة منها تجلس صباح وقد وضعت رضيعها على الأرض وقد ألقت على وجهه شاش أسود حتى لا يصطف عليه الذباب، لتتناول رغيف من الخبز وقد طويت بداخله شيء ما وما هي إلا دقائق بسيطة وقد اجتمعت كل العاملات وأنهين فطورهن، أطلقت السيارات صفيرها معلنة بدء صعود العاملات عليها للرحيل، صعدنا جميعًا إلى السيارة، كانت جلسة مؤلمة حيث ينتشر بالسيارة بقايا الطوب الأحمر المدببة والناعمة

المنتشرة في جميع أنحاء السيارة يصحبها تعرجات الطريق ومطباته المتعددة، تحركت السيارة تاركة القرية متجهة إلى زمامها حيث تنتشر المصانع على حدودها المشتركة مع قرية (السنط) المجاورة، لم تكن المسافة كبيرة كانت نصف ساعة بالسيارة كافية تقريبًا للوصول إلى المصنع، كان الطريق ضيق فبالكاد يسمح بمرور سيارتين متجاورتين، وعلى جانبيه تصطف المنازل البسيطة ذات الطابق الواحد والطابقين المطلية بألوانها المزركشة والمزخرفة بتصاميمها اليدوية البسيطة، يحف الطريق مجرى مائي (ترعة) يطلق عليها السحارة وهي متصلة بترعة الإبراهيمية وهي الترعة الرئيسية التي تلف مشارف القرية وتمتد حتى محافظة بني سويف بدأت القرية تتلاشى لتعلن أعمدة المصانع بأدخنتها المتصاعدة اقتراب المصانع، وبمجرد أن تطأ قدماك داخل المصنع إلا وتجد عربات النقل قد اصطفت منذ الصباح الباكر لتحميل الطوب، والأفران تشتعل لتجهيز الطوب لليوم التالي حيث تستغرق عملية حرق الطوب حوالي ١٠ ساعات في الصيف وليلة كاملة في الشتاء، وتنتشر الأصوات الصاخبة للآلات واللوادر وسيارات تحميل الطوب في كل مكان، فالمكان غارق في الصخب، فضلاً عن انتشار الأتربة والأدخنة المتصاعدة طوال الوقت من المداخن، ولا يخيم الصمت سوى على وجوه العمال الكالحة والغارقة، فلا يلتفت عامل إلى آخر ولا يتحدث أحد إلى من بجانبه من هول مشقة العمل وحرارة الصيف الحارقة والعرق المتصبب من أعلى رأسه إلى أسفل قدميه، فعادة ما عُرف عن مجتمعات العمل انشغالها بالغناء أثناء العمل كمجتمعات الصيادين، وكذلك الفلاحين والتي تتغنى بالمحاصيل وجمعها وحصادها، أما في مجتمعات الأعمال الشاقة فلا تترك الأعمال المنهكة أي قدر من الطاقة أو الرغبة في الغناء فالعمل شاق وسريع ومتواصل وصامت وليس به مجال للتروي.

يبدأ عمل فريق الحمرة بالمصنع منذ الرابعة صباحًا حتى الرابعة عصرًا، عدا شهر رمضان فإن العمل يبدأ من بعد آذان المغرب حتى آذان الفجر، فبعد

تناولهن الشاي من كانتين المصنع(*) (حيث يُتاح لهم نصف ساعة استراحة منذ الوصول بعدها يبدأ العمل)، تقوم النساء بوضع (اللواية)(*) قطعة قماش كبيره تُجدل دائريًا وتُوضع علي الرأس لحمل الطوب عليها وتعمل على التوازن وتخفيف الأحمال. ليوضع عليها لوح خشبي يحمل عليه الطوب حتى يستطعن حمل عدد كبير منه بشكل صحيح، كما أنها تحمي الرأس من حرارة الطوب والتي في بعض الأحيان تترك أثر احتراق على اللوح الخشبي، ليقمن بنقل الطوب من داخل الفرن إلى الخارج حيث عربات النقل، وتحمل المرأة العاملة بالحمرة حوالي ٣٠ إلى ٤٠ طوبة في المرة الواحدة، أي حوالي ٦ أصفف من الطوب مصفوفة فوق اللوح الخشبي أعلى رأسهن وفي عرض خمس أو ست قوالب من الطوب في المرة الواحدة لتسير بها مسافة ٢٠ متر تقريبًا من داخل الفرن إلى عربات النقل خارج الفرن، حيث تنقل المرأة الواحدة قرابة الـ١٠ آلاف طوبة في اليوم الواحد ويزن قالب الطوب الواحد حوالي اثنين كيلو ونصف أي أنها تحمل في اليوم الواحد قرابة الثلاثة أطنان.

(*) وهو مكان يقوم يبيع بعض الساندويتشات والمخبوزات والشاي، ويكون لنساء الحمرة بردان من الشاي مجانًا باليوم واحد عند الإفطار والآخر في استراحة الغداء.

(*) يحمل الرجال من فريق الحمرة الطوب بطريقة تُسمى العصفور، وهي تختلف عن طريقة حمل النساء للطوب، حيث يقوم الرجل بحمل الطوب على ظهورهم من خلال حمل لوح الخشبي متخذ شكل حرف (L) على ظهره وموثق بعدد من الحبال المتينة الملتفة حول اللوح من خلال فتحات خشبية أعدت لذلك ثم يلف حول جسده.

صورة لامرأة تقوم بحمل الطوب بمساعدة المحملاتى

المبحث الثالث– نتائج الدراسة الميدانية:

أولاً– مبررات ودوافع اختيار العمل لدى نساء الحمرة:

١. الفقر:

يُعد الفقر والعوز من أهم الأسباب التي تجعل النساء يلجأن إلى الالتحاق بالعمل الشاق تحت ضغط الحاجة المادية للأسرة، خاصة عندما يكون دخل الرجل بمفرده لا يكفي للإعالة المعيشية لا سيما في ظل ارتفاع تكاليف الحياة المستمرة. لذلك فإن لجوء النساء للعمل هي محاولة لزيادة دخل الأسرة وإضافة مدخولات جديدة وقد يكون الوسيلة الوحيدة لتوفير الدخل في حال غياب العائل أو عجزه. ويمكن القول أنه في ظل انتشار الأمية بالأسرة وتدني المستوى الاقتصادي يُعد الجسد متمثلًا في القوة البدنية هو رأس المال الوحيد الذي تملكه عينة الدراسة وأمام الجوع المستمر والعوز والحرمان يكون استغلال الجسد وإنهاكه في الأعمال الشاقة هو الملاذ الوحيد لسد ألم الجوع الدائم وخاصة في ظل تزايد طبقة الفقراء، وغياب

فرص العمل أمام قلة خبرة وتعليم أفراد مجتمع الدراسة. فعدم القدرة على توفير الطعام ودفع تكاليف المعيشة والعلاج أهم أسباب عمل عينة الدراسة بمهنة حمل الطوب، فتقول إحدى أفراد العينة (الحياة غلا، والعيال طلباتها مبتخلصش، والبيت مصاريفه كتيرة، والدنيا صعبة، مقداميش شغلة تانية أعملها، ومانيش متعلمة، أهو الشغلانة اللي نعرفها أحسن من اللي منعرفهاش).

من خلال ما سبق يمكن القول أن الشقاء العقلي الناتج عن كثرة التفكير والتشتت الذهني وكثرة الإحباطات المتتالية الناتجة عن الشعور بالعوز والعجز تفرض على النساء قبول الأعمال الشاقة فعدم توافر الطعام والشعور الدائم بالجوع والحرمان تُعد أسباب قوية لقبول أي عمل وتحت أي ظروف. فيعد الفقر من أهم الأسباب الدافعة لأفراد العينة للعمل بمهنة حمل الطوب رغم مشقتها. حيث دائما ما يرتبط الفقر بالعمل في أعمال تعتمد على القوة البدنية للجسد حيث غياب قوى التعلم واكتساب المهارات العلمية لدى العينة.

٢. البطالة:

تمثل نسبة بطالة في محافظة بني سويف كما يشير الجهاز المركزي للإحصاء حوالى 5.7%، إلا أن البطالة تتركز بصورة خاصة في مجتمع الدراسة كمجتمع ريفي حيث ترتكز البطالة في المجتمعات الريفية مقارنة بنظيراتها الحضرية، ففي مجتمع الدراسة ترجع البطالة لقلة التعليم وغياب الخبرات، ونقص فرص العمل المتاحة، فانتشار نسبة الأمية وانخفاض مستوى التعليم من أهم عوامل ضياع الفرص لدى عينة الدراسة حيث قبول المهن التي تعتمد على المجهود البدني نظرًا لغياب الكفاءة التعليمية وهذا ما أكدته عينة الدراسة حيث تقول إحدى أفراد العينة (يعني الواحد كان هيشتغل إيه، هما المتعلمين المتنورين كانوا اشتغلوا عشان ألاقي شغل، أنا ساقطة ابتدائية، وبعدين آدي الجمل وآدي الجمال (كناية عن وضوح الموقف). ويمكن القول بانخفاض نسبة البطالة عامة في مجتمع الدراسة (القرية)، إلا أننا نستطيع أن نقول أن بطالة هذه الفئة من النساء تحديدا هي بطالة ترتبط في الأساس بقلة التعليم وغياب فرص الوعى وتطوير الذات.

٣. الأمية:

يتضح من جدول الحالة الاجتماعية والاقتصادية للعينة ارتفاع نسبة الأمية بعينة لدراسة، وفيما يتعلق بنسبة الأمية في قرية الدراسة، فقد بلغت نسبة الأمية بين البالغين (١٥ عام فأكثر) حوالي ١٩.٢% عام ٢٠١٩، حيث بلغت ٢٥% بين الإناث و١٣.٥% بين الذكور، وفقا للجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، بينما بلغت نسبة الأمية ٢٥.٨% (للأفراد ١٥ سنوات فأكثر) وفقًا لتعداد عام ٢٠٢١، حيث ارتفع عدد الأميين، ووفقا للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، هناك أربعة أسباب رئيسية لعدم التحاق الأميين بالتعليم، وهي: عدم رغبة الأسرة بنسبة (٣٤.٢%)، الظروف المادية للأسرة بنسبة (٢٧%)، عدم رغبة الفرد بنسبة (٢٣.٢%)، وصعوبة الوصول للمدرسة بنسبة (١٩%) تقريبًا. حيث تفشي الفقر وغياب الاستراتيجية التعليمية السليمة كما ترى بعض الأسر الريفية –حتى الآن– أن زواج الفتيات يغني عن تعليمهن، ولهذا ترتفع نسب الأمية لدى المرأة الريفية عن نظيرتها في المدن. وفي عينة الدراسة ترتفع نسبة الأمية حيث تُعد الأمية من أهم الأسباب التي تدفع الأفراد لقبول الأعمال الشاقة والمرهقة حيث غياب فرصة الفرد في الالتحاق بالوظائف الحكومية .فتقول احدى أفراد العينة (الواحد بيشتغل الشغلة دى عشان الله يسامحة ابويا معلمناش، هو الواد لقى علام ومتعلمش، أنا أبويا قالى مبنعلمش بنات، البت ناكل من كدها).

٤. توارث المهنة:

حيث ذهب بعض أفراد العينة إلى القول بأن هذه المهنة هي مهنة متوارثة لديهم منذ الأجداد وقد اعتدن العمل بها منذ الطفولة كما أنهن يصحبن أولادهن معهن للعمل بها في أيام الإجازات، لتوفير مصاريف دراستهم، فتقول إحداهن (أنا شغالة هنا من وأنا عندي ١٤ سنة يعني أديلي ٣٠ سنة شغالة الشغلانة دي أنا وجوزى وأبويا منعرفش غيرها، هي اللى فاتحة البيت، وبجيب ابني البكري يشتغل معانا في الإجازات أهو يوفر مصاريفه).

٥. ارتفاع دخل المهنة:

يرى أفراد العينة أن ارتفاع دخل مهنة حمل الطوب مقارنة بنظيراتها من المهن المتاحة لهن من الأمور الهامة والموجهة لهن في تحمل مشقاتها حيث تقول إحداهن (أنا يوميتي، ٦٠ جنيه في اليوم وأقدر آخد سلفة في نصف الأسبوع، وضامنة الناس هنا، أنا لما بروح ألم (أجمع) الغلة ولا أعذق برسيم ولا غيره مبيطلعليش نصها وأغلب الفلاحين مصرانهم غليظ –كناية عن كبر حجم البطن من تناول الحرام– بياكلو علينا اليومية).

ثانياً- المؤشرات الموضوعية لنوعية الحياة:

١. المؤشرات الاقتصادية:

أ. مؤشر الدخل:

أسفرت نتائج البحث عن أن الغالبية العظمى من مجتمع الدراسة يرون أن الدخل الشهري لأسرهن غير كافٍ لإشباع وسد حاجتاهن الأساسية، حيث أفاد بذلك نسبة ٧٠% من عينة الدراسة بينما أشارت نسبة ١٢% من عينة الدراسة إلى أن دخلهن الشهري للأسرة بالكاد يسمح بسد احتياجاتهن الشهرية الأساسية، في الوقت الذي ذهب ١٨% من عينة الدراسة إلى اعتبار أن دخلهن لا يكفي احتياجاتهن الرئيسية. فكما هو موضح بجدول الحالة الاجتماعية والاقتصادية لعينة الدراسة نجد أن إجمالي الدخل الأسرى يعتبر ضعيفا مقارنة بحجم الأسرة وكثرة المتطلبات المعيشية، مما يوضح طبيعة نوعية الحياة لدى هذه الطبقة وما تتسم به من عوز واحتياج وفقر، فتتفق النتيجة السابقة مع ما جاء بالتحليل الكيفي حيث أكدت إحدى المبحوثات أن: (دخل الأسرة بالعافية بيكفينا إن ما اتديناشي في آخر الشهر)وتقول أخرى (الواحد ما ملاحق على المصاريف، اشى مدارس ودروس واكل وشرب ولبس ومواصلات).

على الصعيد الدولي، فإن الراتب يُعد أمرًا مهمًا حيث تُظهر مستويات الدخل ارتباطًا معتدلًا بالتقييمات الفردية للرضا عن الحياة. ومع ذلك في الدول النامية، يكون الدخل غالبًا ضعيفًا مقارنة بالدول المتقدمة فيكتفي في الغالب بقياس

ما يحصل عليه الأفراد لتلبية الاحتياجات الأساسية. (سراج الدين، ٢٠١٦). وبالتالي فإن مؤشر الدخل لدى عينة الدراسة يُعد غير كافٍ، أي أن هناك عجز في مؤشر الدخل يتنافى مع جودة نوعية الحياة لدى العينة.

ب. الادخار والمديونية:

رأت الباحثة أنه من الضروري الإشارة إلى الادخار حيث يمكن اعتباره أحد مؤشرات نوعية الحياة المرتبطة بالرفاهية والتي يمكن من خلالها فهم مكانة الفرد ووضعه وتقديم صورة حقيقية لنوعية الحياة. ومن خلال الدراسة الميدانية يمكن القول أن أغلب أفراد العينة يعانين من تراكم الديون، حيث كثرة الاقتراض من الآخرين، ورغم بساطة المبالغ المالية المقترضة إلا أنها تظل عبء يصعب التخلص منه وتسديده لدى الكثير من العينة. فأكثر من ٨٠% من عينة الدراسة اعتادت اقتراضها المال من الآخرين سواء كان هؤلاء الآخرون هم الأقارب أو الأهل أو الجيران، أو من عرف عنهم إقراض الآخرين مقابل الربح. فتقول إحدى المبحوثات (أنا بكمل الشهر سلف، حماتي ليها عليا ٥٠ جنيه، وسالفة ١٠٠ من صباح بتاعة السمن، و١٥٠ جنيه من أم محمد جارتي أديلي ٣ شهور بتكسف أحط وشي في وشها ومش عارفة أردها). وتقول أخرى (والنبي الواحد مديون لطوب الأرض، حتى الوزرة (العباءة) اللي عليا شكك ماسديت تمنها لسه)، وبالتالي يمكن اعتبار كثرة المديونية للآخرين وتعدد الدائنين لأفراد العينة أحد المؤشرات التي تعكس تدني الوضع الاقتصادي وتدني نوعية الحياة لمجتمع الدراسة.

ج. نوعية الملبس:

إن كل ما يتمتع به الفرد من ملبس ومسكن وغيره يرتبط بمستوى الدخل الاقتصادي للفرد وثقافة البيئة التي يعيش فيها، والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها. فيُعد الملبس وجودته وإمكانية الإنفاق على توفيره من أهم مؤشرات جودة الحياة. وفي مجتمع الدراسة لم ألاحظ كثيرًا تعدد ملابس عينة الدراسة من نساء الحمرة فقد مكثت قرابة الثلاثة أشهر بالمجتمع ولم تتعدد ملابس الواحدة منهن، بل بالكاد لا تتجاوز الثلاثة جلابيب المخصصة للعمل والتي هي نفسها يُعاد ارتدائها

في أوقات الذهاب للسوق والجلوس بالمنزل ومقابلة الجيران، ربما تستثني واحدة من ملابسها أو اثنين على الأكثر لتخصهم للأفراح أو المناسبات.

وغالبًا ما ترتدي الفتيات الثياب المزركشة، بينما النساء المتزوجات كبيرات السن فيرتدين غالبًا الثياب السوداء، أما طريقة حياكتها فهي عبارة عن "عباية فلاحي"، حسبما يُطلق عليها قد تكون مفتوحة أحيانًا بشكل بسيط عند العنق، ثم تنهدل في اتساع وتنتهي بشكل واسع يسهل الحركة التي لا تنتهي طوال اليوم، ويرتدى معها طرحة سوداء أو ملونة وعليها شاش أسود خفيف لحماية أعينهن من بقايا الحمرة (بودرة أو تراب الطوب) الناتجة عن حمل الطوب. وتقوم النساء بوضع (اللواية) قطعة قماش كبيرة تجدل دائريًا وتوضع علي الرأس لحمل الطوب عليها، حيث تعمل على التوازن وتخفيف الأحمال كما يمسك بعضهن قطعتين من القماش يحملن بها طرفي اللوح الخشبي فتساعدهم في إفراغ الطوب. كما ترتدي بعضهن بنطالًا تحت الملابس لعدم تكشفهن أثناء الحركة، ولا تقتصر أهمية الملابس على البُعد الثقافي للهوية والطبقة فقط ولكن الوظيفة الأساسية لهذه الملابس أيضًا هي الحماية من الحرارة القاسية والظروف المناخية، وغطاء الوجه لحماية الأعين من الأتربة الملوثات والأدخنة السامة وتقليل تأثير الإصابات عند السقوط أو ملامسة الأسطح الخشنة. أما فيما يتعلق بالإنفاق على الملابس، فقد أكدت عينة الدراسة الميدانية عدم إنفاق الأفراد من مجتمع الدراسة على الملبس فتقول احدى المبحوثات (أنى مبشتريش لبس جديد غير لما اللي عليا يبلى، الهدوم بقت غالية والقماش غلي والتفصيل غلي) وهو ما يتفق مع نتائج التحليل الكمي والتي توصلت إلى أن ٩٠% من عينة الدراسة لا يهتمون بشراء ملابس جديدة وأحيانًا قد يمر عام كامل دون شراء ملابس لأنفسهن في الوقت الذي قد يفضلن الإنفاق على ذويهم وإعطاء أولوية إنفاق المال لملابس الأبناء أو للطعام والشراب.

د. نوعية الطعام:

ويمكن القول أن دراسة التغذية في الدراسات الأنثربولوجية ترتبط بمفهومين رئيسيين هما المركز الاجتماعي والطبقة، فهي طريقة للحياة، فالاستهلاك الغذائي فعل اجتماعي، فتعكس العناصر الغذائية رموزًا ثقافية، فالأصناف الغذائية تتناسب مع الطبقة الاجتماعية للفرد، كذلك تعكس الفروق بين الطبقات فروقا في نوعية الطعام كما أشار بيير بورديو(*)، فالوجبة الغذائية ووقتها ومكوناتها تساهم في فهم حدود الهويات الاجتماعية كذلك تسمح بالتعبير عن المركز وكذلك تعكس المعرفة بالمعايير الصحية والتي هي العملية المعرفية المتعلقة بالتغذية، فتعد العادات الغذائية والطعام عامة أحد مؤشرات قياس نوعية الحياة، ففي مجتمع الدراسة يتضح مدى قلة العناصر الغذائية ونقص الفيتامينات والبروتينات من خلال ملاحظة الثقافة الغذائية للعينة حيث تقول احدى أفراد الدراسة (إحنا مبنطبخشي غير مرة في الأسبوع باقي الأسبوع بنقضيه أي حاجة من اللي في البيت، كشك نبلة بمية وبتاو حتة جبنة قديمة وعيش، شوية طبيخ بايتين من غير لحمة، نسلق بطاطس وندعكها بشوية زيت وشطة، لحد ما نطبخ يوم السوق).

ومن خلال ملاحظة الباحثة لمجتمع الدراسة: تكون استراحة الغداء في المصنع حوالي ساعة واحدة تقع تقريبًا ما بين الثانية عشر أو الواحدة تقريبًا،

(*) يعد بير بورديو من أهم علماء الأنثروبولوجيا والذي ساهم بشكل كبير من خلال بنيويته في فهم أيدولوجيا الطعام. فقد رأى "بورديو" أننا بحاجة إلى تجاوز التفسيرات المجتمعية الموجهة نحو الإنتاج، متجهًا نحو استيعاب الفروق الطبقية ورأس المال الثقافي للأفراد، ونمط الحياة في فهم الاختلافات الغذائية بين الأفراد، حيث يرى بورديو أن للطبقة دورًا كبيرًا في اختيار الطعام بل أن الأذواق يُعاد تشكيلها في ضوء طبقة الفرد فهي ليست عملية تذوقية اختيارية بل عملية شكلتها وفرضتها طبقة الفرد، فالذوق واختيارات الطعام وتفضيل طعام عن آخر لا تُفهم خارج الطبقة ورأس المال الثقافي لدى الأفراد: المرجع: مروة تهامي، السوشيال ميديا والتمايز الاجتماعي: الطعام نموذجًا، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، مج ١٤، ع٤ (يناير ٢٠٢٢).

وتحضر نساء الحمرة طعام الغداء معهن والذي غالبًا ما يكون جبن قديم أو مش وبتاو ولفت، أو كشك وطماطم، أو بعض الطعمية أو الفول المتبقي من طعام الإفطار، ونادرًا ما يشترين طعامهم من الكانتين بالمصنع لغلو أسعار السندويتشات مقارنة بما يحضرنه من المنزل، ثم يشترين براد من الشاي ويتقاسمنه، حيث تبلغ تكلفته ١٠ جنيهات؛ أما وجبة العشاء فتكون عند عودتهن إلى المنزل آخر النهار وتكون غالبًا جبن وخبز أو بيض بالصلصة، أو كشك بالبيض، حيث لا يتوفر لديهن الوقت لطهي الطعام، كما تعجز إمكانيتهن المادية عن شراء أطعمة أكثر كلفة فيعتمدن على الطعام المحلي التقليدي المتوفر والخاص بالقرية. فلا يقمن بطهي الخضر واللحوم سوى يوم الخميس وهو يوم الطهي المشهور بالقرية لدى البسطاء حيث يرتبط هذا اليوم بيوم السوق الكبير الخاص بالقرية، فتذهب النسوة بالقرية للتسوق ثم يعدن ليطهين ما يحضرنه من خضر وطيور أو لحوم. وأحيانًا يتم ذلك أيضًا يوم الاثنين في حال كان وضع الأسرة يسمح بذلك حيث يرتبط الاثنين أيضًا بالسوق الصغير بالقرية. ولا ينطبق ذلك على مرتفعي الدخل من أبناء القرية. ولقد لاحظت من زياراتي المتكررة لهن ومصاحبتهن إلى السوق أنهن يقمن بطهي كميات طعام كبيرة من الخضار (الطبيخ كما يطلقون عليه) تحديدًا كالبطاطس والكوسة والملوخية لكي تكفي لمدة قد تصل لخمسة أيام بداخل الثلاجة ويعتمدن عليها كغداء بجوار الخبز لأيام متتالية.

ويمكن القول أن الحاجة إلى الكفاية من الطعام يعتبر من أهم متطلبات مجتمع الدراسة، وأن القدرة على الحصول على ثلاث وجبات في اليوم بغض النظر عن نوع الوجبة وجودتها ودرجة تحقيقها للإشباع من أهم متطلبات مجتمع الدراسة فتقول إحداهن (والله الواحد بيرجع مابيلاقي حاجة ياكلها بينام على لقمة الغدا، كتيره كوباية شاي ويغمسها برغيف). وبالتالي يتضح مدى الانخفاض في مؤشر جودة الطعام لدى العينة حيث نقص العناصر الغذائية كالبروتينات الحيوانية ونقص الفواكه، والاعتماد على أطعمة محددة وقليلة غالبا ما يعاد تناولها على مدار اليوم.

ه. نوعية المسكن:

لقد أدرك الأنثربولوجيون الارتباط بين المكان أو الفضاء (المسكن) والثقافة، فيحدد لنا مارسيل موس" أن المسكن يظهر في الواقع كحصيلة عوامل عديدة (أرضية، مناخية، تاريخية، اقتصادية، اجتماعية، رمزية (Mauss, 1967, 73-78).

فرغم التغيرات العديدة التي مرت بالقرية إلا أن استمرار المسكن التقليدي ذا الطابق الواحد المبني بالطوب اللبن أو الطوب الأحمر فقط دون محارة أو طلاء ما زال قائمًا، ورغم اختلاف المسكن وفقًا للمستوى الاجتماعي والاقتصادي لصاحبه إلا أن عينة الدراسة تتفق في تقارب شكل ونوعية المسكن البسيط المتواضع والذي غالبًا ما يتخذ شكل مبنى من طابق أو طابقين في حالة الإقامة في أسرة ممتدة أو مركبة يقع في حارة ضيقة وأحيانًا ما تكون الحارة أعلى من مدخل المنزل نتيجة عوامل الردم والترسيب المستمرة، ويُوجد أمامه مصطبة أو اثنين على يمين ويسار المنزل كما يحوي عدد غرف قليل وذو مساحة ضيقة في الغالب. وغالبًا ما تستغل الأسطح لتربية الطيور، ويُعد هذا هو النمط السائد لأغلب منازل عينة الدراسة حيث اقتصر المنازل على باب واحد باستثناء منزلًا واحد يحوي بابين باب للأفراد وباب خلفي للماشية. ولا تحوي أغلب المنازل الكثير من الأثاث أو الفرش فأغلبها به بعض الفرش الملقاة على الأرض للنوم أو بعض الأسرة القليلة التي يصعب أن يتصور أنها تكفي كل أفراد الأسرة. كما يوجد تلفاز بسيط في أغلبها، وبعض الفرش (الكنب التقليدي) البسيطة، وبعضها ما زال ينتصب أمامه الدكة الخشبية للجلوس؛ كما يغلب عليها استخدام البلاط في أرضية المنزل وبعضها يكتفي بأرضية المنزل الطينية دون تغطيتها بالبلاط. ولا تتوافر بجميع المنازل مياه الشرب حيث اعتماد بعض المنازل على الطلمبات، فتقول احدى أفراد مجتمع الدراسة (الواحد نفسة يشترى حتة سرير يفرد طوله عليها لما يرجع من الشغل، ظهرى اتقطم من نومة الارض)، وتقول أخرى (نفسى أبلط البيت، أى شوية ماية يكبها العيال على الأرض ألاقي البيت كله بقى طينة والكنب بقى طينة).

ويمكن القول أن شعور عدم توافر المنزل المستقل لدى عينة الدراسة هو أحد مشاعر الحرمان العميقة، فعدم القدرة على القيام ببعض الأمور المألوفة والعادية لدى الآخرين هو أحد أشكال الضغط النفسي كعدم وجود مكان لاستضافة الآخرين، إن تقييم الأفراد للمنزل بأنه غير لائق ومتكدس بالأفراد ولا يحوي الفرش الكافي لاستقبال الآخرين، أن لا يكون هناك مراحيض للزائرين أن يكون المرحاض في بعض المنازل هو مجرد حفرة وقد جذبت عليها ستارة ركيكة هو أحد أوجه الشعور العميقة بالحرمان، فلقد لاحظت تهرب إحدى عينات الدراسة عن مقابلتي في منزلها طوال مدة الدراسة وعندما ألححت بالحضور إليها اعتذرت لي وهي تشعر بالخزي والخجل معربة بأن منزلها غير لائق ولا يليق بي؟. وبالتالي يمكننا القول بانخفاض مستوى جودة المسكن لدى أفراد الدراسة.

و. الملكية:

تُعد أولى وأهم أشكال الملكية للفرد هي امتلاك منزلًا خاصًا وهو رغبة الكثير من الأفراد استنادًا إلى الثقافة التي ينتمون إليها، فالمنزل أو الدار يتضمن قيمة اجتماعية، ومضمونًا اجتماعيًا تتحدد بواسطته قيمة الفرد ومكانته ضمن الجماعة التي ينتمي إليها، بل وبه تتشكل هويته. كما يذكر "دو رادكوفسكى" (Radkowski, 2002, 25)[*] وفي ضوء ذلك يندر امتلاك أغلب أفراد عينة الدراسة لمنزل خاص، أما في حالات الملكية والتي لا تتجاوز الـ٤٠% من عينة الدراسة فإن أغلب المنازل تقطنها أسر ممتدة وبالتالي فالملكية جماعية حيث قد لا يتجاوز نصيب الأسرة الواحدة بالمنزل الحجرة أو الحجرتين. أما عن باقي أشكال الملكية سواء لسيارات خاصة أو أراضٍ زراعية وغيره فهي منعدمة في عينة الدراسة، فتقول احدى أفراد مجتمع الدراسة (الواحد أكبر أحلامه يبقى عنده حتة بيت ملكه يتتاوه فيها، ويتحرك فيها براحته، حتى لو كانت جوز اوض (حجرات)، وبالتالي يظهر مؤشر نوعية الحياة تدنيًا أيضا فيما يتعلق بتحديد الملكية.

[*] جورج أوبرت دي رادكوفسكي (١٩٢٤-١٩٨٧) فيلسوفًا وعالم اجتماع وعالم أنثروبولوجيا بولنديًا.

٢. مؤشر العلاقات الاجتماعية:

أن الهوية الاجتماعية للفرد تتوقف على العلاقة بين الإنسان وأقرانه أي بين الفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه، فتمثل وتترجم الدور الذي يلعبه الفرد بصفته فاعلا ضمن الكل الاجتماعي الذي ينتمي إليه، بمعنى ضمن هذه الجماعة التي هي الأسرة أو جماعة الجيرة أو العمل، وتبرز استعدادات الأفراد في تكوين العلاقات الاجتماعية الإيجابية بين الجيران من خلال عدة عوامل منها طبيعة واستعداد الفرد نفسه وأن يكون صاحب المبادرة مع الآخرين فالعلاقات الاجتماعية قائمة على التبادل ورد الفعل (Radkowski, 2002, 44).

وتنعكس العلاقات الاجتماعية في مجتمع الدراسة من خلال الفعل الاجتماعي للفاعلين المتمثل في بعض الممارسات لبعض السلوكيات الإيجابية في المناسبات والأعياد والمواسم، ومشاركة الجيران في صنع الطعام وجمع المحاصيل وحضور المناسبات وذبح الأضاحي وتوزيعها وتقديم الإعانات المالية وتبادل الهدايا والزيارات، كما تتأثر العلاقات الاجتماعية في مجتمع الدراسة أيضًا بحجم الأسرة فكلما زاد حجم الأسرة كلما زادت الروابط مع الآخرين، إذ يرتبط كل فرد من الأسرة بعلاقات اجتماعية مختلفة، فكلما كبر حجم الأسرة كان مدخلا لتكوين أفرادها علاقات اجتماعية متعددة مع الآخرين والعكس صحيح كما أن العلاقات الاجتماعية لمجتمع الدراسة وخاصة علاقات الجيرة تتأثر بطول مدة الإقامة، وحسن الجوار.

فعلى سبيل المثال تتأثر علاقات الجوار بوجود علاقات زمالة بالعمل، أو قرابة ونسب، أو مصلحة مشتركة. وفي مجتمع الدراسة تساعد جماعات الجيرة في تقديم العون خاصة في الأزمات كالوفاة أو المرور بأزمة مالية، والمناسبات كالأفراح وغيرها، مما أدى إلى نشأة علاقات اجتماعية متنوعة داخل مجتمع الدراسة، وبعض هذه العلاقات قد تكون متماسكة وقوية، والبعض الآخر قد تكون ثانوية تعاقدية تسودها المصلحة.. كما تؤدي المصاطب أو (الدكة) أمام المنزل دور إيجابي في

تقوية العلاقات الاجتماعية بين الجيران (حيث يتبادلون أطراف الحديث وأخبار الحياة فتحافظ هذه السهرات على تقوية العلاقات والروابط الاجتماعية).

لا ينفى هذا أن هناك بعض العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع الدراسة يسودها التفاعلات كالتحاسد والغيرة والفضول والنميمة والنفاق وغيرها من العادات السمية التي يتصف بها البعض مما يخلق نوع من اضطراب الأجواء في العلاقات الاجتماعية؛ فقد اتضح من العمل الميداني من خلال الملاحظة بالمشاركة، أن مجتمع الدراسة تتخذ فيه العلاقات الاجتماعية صورة إيجابية غالبًا بين الأفراد فقد أكد ٥٠% من عينة الدراسة على قوة ونجاح علاقتهم الاجتماعية مع الآخرين، بينما أشار حوالي ٢٣% إلى أنهم يفضلون الاقتصار وعدم إقامة علاقات مع الآخرين تحاشيًا للمشكلات والقيل والقال فيفضلن العزلة الاجتماعية، بينما أشار حوالي ٢٧% من عينة الدراسة إلى أنهم يعاملن الناس بالمثل ويفضلن تجنب الكثير، فتقول إحدى عينات الدراسة (الناس بقت وحشة والاقتصار عبادة، هو أصلا بقى فيه حد بيسأل على حد ولا حد فاضي لحد اليومين دول كله بيجري والطوب يجري في رجليه).

ويمكننا القول أن هناك نسبة ليست بالقليلة في مجتمع الدراسة أشارت إلى ضعف علاقاتها الاجتماعية سواء بالانعزال أو بتجنب الاحتكاك بالآخرين، وتعلل ذلك الباحثة بأن الفقر دائمًا ما يتبعه علاقات اجتماعية سيئة نتيجة الانعزال الإجباري الذي يفرضه الفقير على نفسه كنتاج لقلة إمكانياته وكثرة مديوناته، فهو لا يستطيع تلبية دعوة من هم أعلى منه اقتصاديًا واجتماعيًا لحضور مناسباتهم الاجتماعية– في حال اهتمام الآخرين بدعوتهم– لشعوره بالدونية وقد يرى ذلك في عيون الآخرين مما يجعل هذه الطبقة تفرض على نفسها سياج من العزلة والابتعاد، كذلك تسود العلاقات الاجتماعية السيئة لدى الفئات الدنيا لتدنى المستوى التعليمي ونقص الخبرات العملية المتعلقة بإدارة الحياة والتعامل مع الآخر وكثرة الخلافات

المرتبطة بالحاجة المادية والإنفاق، ويتضح ذلك أيضًا من آراء إحدى المبحوثات (معادش حد بيسأل على حد، واحنا الناس هتحتاجنا في إيه عشان تسأل علينا، حتى الأهل بقم عقارب).

- التحولات في علاقة النوع (إعادة تشكيل الهرمية الاجتماعية داخل الأسرة):

إن عدم قدرة الرجل على ممارسة دوره في السلطة والقوة داخل الأسرة من خلال عجزه عن الإنفاق يدفع بالمرأة لأن تكون هي العائل والمسئولة عن تحمل النفقات وإدارة الأمور والمسئوليات للأسرة، قد يؤدي ذلك في أحيانًا كثيرة إلى إعادة تشكيل الهرمية الاجتماعية وتغير الأدوار داخل الأسرة، فضياع دور الرجل التقليدي في الإنفاق على الأسرة وعجزه عن ذلك سواء لقلة الدخل أو المرض أو عدم القدرة على تحمل المسئولية كلها أعباء إضافية على كاهل المرأة لتصبح المرأة مصدرًا للسلطة والقوة وإدارة الأمور داخل الأسرة بسبب عجز الرجل عن ممارسة دوره التقليدي في الإنفاق والذي يستمد منه بالطبع سلطته وقدرته على التحكم والتوجيه داخل الأسرة، وبالتالي ارتفاع معدل التفكك الاجتماعي والمشكلات الأسرية داخل الأسرة، لذلك فإن بطالة الرجل هي انتهاك هائل للأعراف الاجتماعية، وإعادة تشكيل لميزان القوى داخل الأسرة لصالح المرأة المعيلة أو المسئولة عن الإنفاق على الأسرة فهي صاحبة السلطة أمام عجز الرجل وهو ما ينتج عنه العديد من المشكلات الأسرية، حيث يتضح ذلك من خلال الدراسة الميدانية فتقول إحداهن (من ساعة ما الراجل عجز وأنا اللي بصرف على البيت بطولي، وهو سابلي الأمور كلها أمشيها بدماغي، حتى الدخان أنا اللي بجيبه، مبيعملش حاجة غير أنه قاعد ينكت (ينكد) فيه وفي العيال)، وبالتالي ترى الباحثة أن اختلال تشكل الأدوار داخل الأسرة يتبعه بالطبع العديد من المشكلات الأسرية التي تنعكس بدورها على الأبناء وعلى الأزواج انفسهم مما ينتج عنه تدنى في نوعية الحياة لدى عينة الدراسة.

٣. مؤشر جودة التعليم:

يُعد التعليم الجيد هو العامل الأكثر أهمية لنجاح الفرد في حياته. فالتعليم يصنع جودة الحياة فهو نمط تربوي يساعد الفرد في إدارة حياته وفي التعايش مع المتغيرات الحديثة ومتطلبات الحياة مما يجعل الفرد قادراً على تحمل المسئوليات ومواجهة المشكلات ومقابلة التحديات التي تفرضها الحياة حيث بناء مفاهيم وثقافات ومعتقدات اجتماعية صحيحة للأفراد، بما يتضمن ترسيخ الأخلاقيات وجودة التعاملات والمرونة الشخصية.

وتتسم الغالبية العظمى من عينة الدراسة بالأمية، حيث بلغت نسبتهن حوالي ٧٠% من عينة الدراسة مما يقلل من فرص حصولهن على عمل بالقطاع الحكومي أو القطاع العام فلا يوجد أمامهم سوى العمل في أعمال هامشية، يليها من يستطعن القراءة والكتابة بنسبة ٢٧%، يليها الحاصلات على مؤهل متوسط بنسبة ٣% من إجمالي أفراد عينة الدراسة. فتدني المستوى التعليمي للمرأة وفقر العائلة يلقي عليها العبء الاقتصادي وإعالة الأسرة.

ويمكننا القول من خلال الدراسة الميدانية أنه عادة ما ينتشر التسرب التعليمي لدى أبناء الطبقات الفقيرة حيث غياب الوسائل والأدوات الفكرية التي تعينهم على اكتساب المعرفة، أن دخولهم المدرسة يرتبط بنقص الرصيد اللغوي والمعرفي لديهن، فقرارات الفرد التعليمية ترتبط بموقعه في البناء الاجتماعي، فالوضعية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لأسر العينة بمجتمع الدراسة قد ساهمت في عرقلة عملية التعلم لدى أغلب مجتمع الدراسة، ليجدن أنفسهن غير قادرين على مسايرة المنظومة التربوية التي تختلف عن وسطهم الاجتماعي مما يدفعهم للاعتقاد بعدم جدوى التعليم، ومشقة العملية لذلك نجد أنه في عينة الدراسة تعلو نسبة الأمية حيث يغلب على أغلبها عدم دخول المدرسة أو التهرب المدرسي في مرحلة مبكرة وعدم إتمام الدراسة لأسباب قد تتعلق بالصعوبات الاقتصادية للأسرة (رغم بساطة تكلفة التعليم بالقرى) أو ضعف رقابة الأسرة على أبنائها وبغياب الدافعية والطموح لدى بعض أفراد العينة، واستصعاب العملية التعليمية وتأخرهم دراسيًا وتكرار

الرسوب. .فالفقر والعوز وانتشار البطالة لدى الآباء يدفعهم لزج أطفالهم في سوق العمل منذ سن صغير وسحبهم من العملية التعليمية فيتحملن قسطًا من المسئولية المبكرة تجاه إعالة أسرهن، وبالتالي يتم التخلي تلقائيًا عن المدرسة وخاصة في حال فقدان الأسرة للعائل أو غيابه كليًا أو جزئيًا.

ويتبع ذلك ضيق النظرة للمستقبل والتي قد تجعل الفرد يعتقد بعدم جدوى التعليم، أو عجز التعلم عن تغيير واقعه وكلها عوامل تعد الأسرة الأولية هي العامل الأكبر المسئول عن تشكيلها بجانب البيئة الثقافية التي يعتبر الفرد جزء منها. فقد تم إدماج أغلب أفراد العينة في سوق العمل منذ وقت مبكر، فكانت الأمية هي السمة الغالبة عليهم ويتضح ذلك من آراء العينة حيث تقول إحدى المبحوثات (أبويا قالي أقعد من التعليم إحنا لاقيين نسد على حنككم عشان كمان نعلمكم، طلعني من المدرسة وأنا في ثالثة ابتدائي مع إني كنت شاطرة وبحب العلام).

٤. مؤشر الصحة:

دائمًا ما يرتبط المرض بالفقر، فالنقص الغذائي والعمل في أعمال شاقة وربما غير إنسانية وفي ظروف عمل سيئة من أجل توفير المادة جعلت من المرض واعتلال الصحة عنصر ملازمًا للفقر وللفئات المهمشة والفقيرة، كذلك التكدس السكني، والنفص الغذائي والسير لمسافات طويلة توفيرًا لنفقة السيارات المستأجرة والانتظار الطويل في طوابير السلع المدعمة ومنخفضة السعر والتركيز الدائم على شراء الرخيص بل الأكثر رخصًا(*) بدلاً من البحث عن الجودة، وإنفاق الجسد (بوصفه عنصر الملكية الوحيد) واستهلاكه في الأعمال الشاقة والمنافية للإنسانية كلها عوامل مهلكة للصحة وجالبة للمرض.

(*) حيث أشار بير بورديو أن الطبقة تفسر في ضوء ثلاث عناصر للاستهلاك منها نهمة الطعام (حيث تباين عرض الأطعمة ما بين المألوفة والنادرة) والتفرد (حيث ارتفاع الطلب وانخفاض العرض بالنسبة للطبقات العليا، والعكس بالنسبة للطبقات الدنيا)، ودرجة الجودة الغذائية كعناصر هامة لفهم الطبقة، حيث يعد تركيز الأفراد على شراء العناصر الغذائية الأقل جودة والأكثر وفرة من مؤشرات تحديد الشرائح الفقيرة

وترى "منظمة الأمم المتحدة للأمن الصحي، أن الصحة من أهم المؤشرات الموضوعية لنوعية الحياة، حيث أكدت على التعامل مع الصحة كحالة من اكتمال السلامة البدنية وانعدام المرض أو العجز(*) أحد أهم مؤشرات نوعية الحياة للأفراد وللدول، وهذا ما توضحه الدراسة الميدانية، فقد أظهرت نتائج البحث ارتفاع نسبة النساء من عينة الدراسة اللاتي تتسم حالتهن الصحية بالمتوسطة حيث تعاني من أحد الأمراض بنسبة ٥٥ % من إجمالي العينة، بينما أوضحت نسبة ٢٠% أن حالتهن الصحية جيدة ولا يعانين من أحد الأمراض، بينما أكدت نسبة ٢٥% أن حالتهن الصحية ضعيفة وتعانين من عدة أمراض، و يرجع تدني الأوضاع الصحية لدى فئة النساء إلى العبء النفسي والمادي والجسماني الواقع عليهن والذي ينعكس سلبًا على حالتهن الصحية. وتتفق النتيجة السابقة مع ما جاء التحليل الكيفي، حيث تقول إحدى المبحوثات على سبيل المثال: (عندي حساسية في الصدر من كثر ريحة دخان المدخنة والتراب والغبرة الحمرا، بس هعمل إيه مضطرة أشتغل)، وتقول أخرى (الواحد عنده ضغط وسكر وساعات بيقع من طوله (التعرض للإغماء) على الأرض وهو شغال، بيفوقونى وارجع أكمل تانى، هنعمل ايه اتكتب علينا الشقي).

أ. الصحة وأسلوب التغذية:

تحوي الثقافة مجموعة من الموجهات السلوكية التي لها تأثيرها على الصحة والمرض، كعادات النظافة والطعام والحفاظ على الصحة ومعالجة المرض، فيرتبط الغذاء بالصحة بشكل مباشر، ففي مجتمع الدراسة يتسم أسلوب الحياة من عادات غذائية بنقص العديد من الخبرات المعرفية التغذوية الناتجة عن انتشار الأمية بالعينة بالإضافة لتدنى وضعهم الاقتصادي، وبالتالي انعكس ذلك على طبيعة الغذاء، فينتشر لدى العينة نقص العناصر الغذائية الهامة كالفيتامينات والبروتينات في طعامهم، فيغلب عليهم الاعتماد على بعض الأطعمة البسيطة

(*) موقع منظمة الصحة العالمية:
https://www.who.int/ar/about/governance/constitutionl,ru

والمتكررة بشكل دائم على مدار اليوم والتي تتميز برخص تكلفتها المادية ووفرتها(*) فيعاني العديد من أفراد العينة من الضعف الشديد والأنيميا فتقول إحداهن (انا عندى انيميا شديدة، وكل ماروح للدكتور يكتبلى أدوية ومقويات ويقولى أكل كويس طب اجيب منين، دى الخمسين جنية أجرة الكشف الواحد مستلفها)، كذلك لا تهتم كثيراً نساء العينة بنظافة الطعام فقد لاحظت تركهن الطعام كثيراً مكشفواً على أرضية المصنع الترابية لساعات طويلة ثم إعادة تناوله، كذلك قامت إحداهن بتلين خبز البتاو بماء النهر مباشرة رغم علمها بعدم نظافتها وإلقاء المصنع لبقايا الإنتاج الهالكة به؛ كذلك عدم الاهتمام بغسل أيديهن قبل الطعام، وتقول أخرى (الواحد سيبيها على الله، ربك اللى بيسطر، الناس اللي بتحبكها دى وتقعد تغسل كل حاجة هي اللى بتمرض وتتعب بدرى).

ب. الصحة وبيئة العمل

ينتشر ببيئة العمل الخاصة بعينة الدراسة انتشار الأدخنة والأتربة واستخدام المواد الكيمائية في حرق الطوب وغيره، فهي بيئة شديدة التلوث، فتعرض النساء بشكل يومي لهذه البيئة قرابة الاثني عشر ساعة قد تسببت في معاناة العديد منهن بمشكلات الجهاز التنفسي والحساسية

كما تتسم طبيعة العمل في مهنة حمل الطوب بالمشقة الشديدة والاعتماد على المجهود البدني الشديد وبالتالي فينتشر بالعينة الأوجاع المتعددة المرتبطة بالعظام والعمود الفقري، بالإضافة لذلك يعاني بعض أفراد العينة من أمراض الضغط والسكر، ومن الملاحظ أن طبيعة عمل عينة الدراسة والمجهودات الشاقة والدائمة لا تتلاءم مع طبيعة هذه الأمراض وكيفية تحاشي مضاعفاتها؛ فتقول احدى أفراد الدراسة (شغلتنا دى اسمها المكسحاتية، لازم تخرجي منها بالغضروف

(*) كما أشار بير بوريو في مقاربته عن الطعام لعنصر الوفرة وجودة الطعام

والضغط والسكر)، وبالتالي يعد انخفاض جودة بيئة العمل الصحية من العوامل الداعمة لتدنى مؤشر الصحة لدى العينة.

ج. أساليب العلاج

غالبًا ما يعتمد أفراد مجتمع الدراسة على الوصفات التقليدية المتوارثة أو بعض الأدوية المعروفة للعامة كمسكنات حتى الوصول إلى الوحدة الصحية، كما تسود ثقافة شراء الدواء واستعماله دون استشارة طبيب، اعتمادًا على الخبرة الشخصية السابقة للفرد أو على خبرة الآخرين في الأسرة أو الجيرة. وتبدو ضرورة الذهاب إلى الطبيب للعلاج عندما يتأكد فشل الطب الشعبي باستخدام الأعشاب والوصفات الشعبية. وفي أحيان كثيرة يؤدي "الصيدلي" دور الطبيب في التشخيص وتحديد نوع الدواء، لذلك يشيع صرف بعض الأدوية لدى أفراد العينة دون روشتة.

في مقابل ذلك فقد أوضحت الدراسة الميدانية أن بعض الأفراد يرجعون الصحة إلى القدرية أي إنها تأتي من عند الله، وهو ما أسهم في إهمال الكثير منهم للتداوي وزيارة الطبيب. كذلك ارتفاع تكلفة العلاج وارتفاع قدرة تحمل العينة للألم حيث تقول إحدى أفراد مجتمع الدراسة (الواحد مبيروحش للدكتور غير لو بيطلع في الروح، أي شوية وجع بنستحملهم وهيعدوا).

د. توافر المنشئات الصحية وأساليب العلاج:

رغم مساحة القرية الكبيرة إلا أنه لا يتوافر بها وحدة طبية للعلاج، فأقرب وحدة صحية للعلاج توجد بمركز (بوش) وهو على مسافة ليست بالقريبة من القرية وعلى مسافة كبيرة من بيئة العمل (المصانع) حوالي عدة كيلو مترات، وبالتالي فأن الوصول إليها في حالات الطوارئ يحتاج إلى توافر وسيلة مواصلات، وهو ما لا يتوافر بالقرية، فلا تنتشر بالقرية المواصلات العامة، وفي حلات مرض أو إصابة إحدى أفراد العينة يقمن بالتواصل مع أحد الجيران ممن يمتلكون سيارات أو شاحنات نقل أو موتوسيكلات لنقلهن إلى الوحدة الصحية بالمركز. إن بُعد الوحدة

الصحية بصفة خاصة والمستشفيات بصفة عامة عن القرية قد تسبب في العجز عن إسعاف الكثيرين وخاصة في حالات لدغ الأفاعي أو الثعابين المعتادة بالمصانع والأراضي الزراعية بالقرية عامة، فتقول أحد أفراد الدراسة (عامنول– العام السابق– ابن سلفتى كان بيرفع قالب الطوب لدغه تعبان كان تحت القالب، على ما وصلنا المستشفى كانت روحه خلصت)، وبالتالي يعد العجز في توافر المنشآت الصحية وبعدها من أهم مؤشرات انخفاض جودة الحياة لدى العينة وفقا للمقاييس العالمية.

٥. مؤشر قضاء وقت الفراغ:

تبين من نتائج الدراسة أن قضاء وقت الفراغ لدى العينة يتمثل في الحرص على الراحة في وقت الفراغ بنسبة ٨٠% يليه الاهتمام بمشاهدة التلفاز بنسبة ١٠% من إجمالي وقت فراغهن. كذلك استمتاع مجتمع الدراسة بقضاء وقت الفراغ مع الأسرة حيث أفاد بذلك نسبة ١٠% من إجمالي العينة، ويمكن القول أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية لعينة الدراسة كالعمل المنهك والمستهلك للجسد طوال الوقت لا يترك بالطبع لدى الأفراد الفرصة لتنمية الذات أو التعلم أو الاستمتاع بقضاء الوقت مع الأسرة وتوجيه الأبناء فتقول إحدى نساء العينة (وقت فاضى اش بس اللى نلاقيه، الواحدة بترجع هلكانه من المصنع مابتصدق تلاقى فرشة تريح عليها، ده غير الهم المتلتل اللى وراه اشى طبيخ وغسيل وكنيس)؛ مما يعكس تضائل مستويات رفاهية قضاء وقت الفراغ لدى العينة.

- رعاية الأبناء:

تتكشف من خلال الدراسة الميدانية عن عدم ملائمة الظروف العائلية لطبيعة عمل بعض نساء بالحمرة سواء بالنسبة للمرأة العاملة أو بالنسبة لأبنائها الذين لا يوجد من يعتني بهم فترة عمل أمهاتهم، فقد أشارت ٦٠% منهن إلى تركهن لأطفالهن وقت العمل في البيت في رعاية أحد أقربائهم أو إخوانهم الكبار أو بعض الجيران، بينما إشارات ٢٠% من النساء اللواتي لديهن أبناء بعمر الطفولة

بأنهن يصطحبن الأطفال معهن ليكونوا على مقربة منهن وقت العمل، حيث يتحين الفرص لتقديم الرعاية لهم أو إرضاعهن، وقد لاحظت الباحثة اصطحاب إحدى نساء العينة لطفلتها التي لا تتجاوز العام ونصف معها إلى العمل وتركها على الأرض على بُعد عدة أمتار لمتابعتها، بينما ذكرت ١٠% من العينة بأن أبنائها بأعمار كبيرة، ويمكن القول أن عمالة نساء الحمرة قد أهدرت رعاية الأبناء لدى المرأة، فتقول احدى حالات الدراسة (والله الواحد ساعات بيعدى أيام كتير ما بيشوف عياله غير على النوم من كثر الشغل والشقا عليهم)؛ فعمالة النساء في مهنة حمل الطوب يجعلنا بصدد هدر لشرط إنساني عام؛ حيث يفقد الأطفال في أحيانًا كثيرة حقوقهم بالرعاية ويتحولن إلى عبء على أسرهم، وقد يتعرض الأبناء إلى المخاطر ويصبحن حملاً ثقيلاً مرافقاً لهموم عمل أمهاتهن.

٦. مؤشر الأمان والسلامة (المؤشر المهني):

إن توافر بيئة عمل آمنة خالية من المخاطر والكوارث، كذلك الاستجابة السريعة لحالات الطوارئ، من أهم مؤشرات جودة نوعية الحياة المهنية، حيث يُعد غيابها هو مؤشر هام لنقص جودة نوعية الحياة، وتتفاوت درجة الخطورة في بيئات العمل حسب طبيعة عمل الآلات وعوامل الخطر، وفي مجتمع الدراسة تُعد بيئة العمل من البيئات الصناعية غير الآمنة، ليس فقط لانتشار الأدخنة والأبخرة والمواد السامة المختلفة، بل لبدائية وقدم تصميم مكان العمل، فقد تبين من الدراسة الميدانية سقوط المدخنة المخصصة لحرق الطوب على عدد من العمال في عدة مصانع مختلفة حيث الاعتياد على تكرار الحدث، كذلك كثرة سقوط العمال من أماكن مرتفعة وتعرضهم للعديد من الإصابات في منطقة العمل بدءًا من الإصابات البسيطة كسقوط قوالب الطوب على الأفراد، حتى السقوط في محرقة الطوب (الفرن) والتعرض للحرق وفقدان الحياة. ويتضح ذلك من آراء العينة التالية حيث تقول إحدى المبحوثات (عامنول (العام السابق) ماتت قدام عيني أم محمد سيدة وقعت عليها المدخنة هي وجوز نسوان تانين، خلصوا في ساعتها). وتقول أخرى (ياما الواحد وقع عليه قوالب طوب، وهو ماشي يتعثر في ظلطة ولا طوبة يتكفي على وشه (وجهه). بس هنعمل أيه أكل العيش). وبالتالي يمكن القول بتدني عامل

الأمان وارتفاع المخاطر في بيئة العمل لدى نساء الحمرة أي تدني مؤشر السلامة المهنية لديهن، لذلك فأنه من الضروري رفع مستوى كفاءة ووسائل الوقاية في بيئة العمل والتي ستؤدي بلا شك إلى الحد من الإصابات والأمراض المهنية وحماية العاملين.

تعقيب:

من خلال عرض المؤشرات الموضوعية لنوعية الحياة يمكن القول بأن انخفاض نوعية الحياة لدى نساء الحمرة فيما يتعلق بالمؤشرات الموضوعية، حيث انخفاض المستويات الاقتصادية كالدخل وكثرة المديونية وانعدام الملكية الخاصة وقلة جودة الطعام وانخفاض مؤشرات الصحة والسلامة المهنية كذلك الانخفاض في مؤشر جودة العلاقات الاجتماعية، مما يؤكد على تدنى جودة حياة هذه الفئة من النساء حيث تعد الحاجة لإشباع الحاجات الأولية والأساسية المادية كالطعام والشراب هي أهم أولويات عينة الدراسة، وان قيم الاندماج في المجتمع والبحث عن المكانة الاجتماعية وتطوير الذات غير موجوده بالعينة لانشغالهن الدائم بتوفير أساسيات الحياة وهو ما يتفق مع افتراض "إنجلهارت" أن الأفراد يسعون وراء أهدافهم في شيء يشبه الترتيب الهرمي حيث محاولة تلبية الاحتياجات المادية الأكثر إلحاحًا مثل الجوع والمسكن أولاً لارتباطها المباشر بالبقاء. فيتضح إعطاء نساء الحمرة القيمة والأولوية للأهداف المادية فندرة إشباع الحاجات الأساسية جعلت العينة تميل لإعطاء الاحتياجات المادية المرتبطة بالبقاء كالطعام والملبس والمسكن قيما أعلى في سلم الاحتياجات، حيث تستقطع إشباع هذه الاحتياجات أغلب يومهن بل تختفى الأشكال الأخرى من الحاجات من حياتهن اليومية حيث ندرة الاهتمام بالرفاهية والتعلم والبحث عن المكانة، فتركز نساء الحمرة على أولويات البقاء بشكل كبير، بعكس الأفراد الذين نشأوا على اعتبار البقاء على قيد الحياةً أمراً مفروغا منه، حيث يكونون أكثر ميلاً للتوجه ما بعد المادي كما أشار "انجلهارت" حيث انتقال الأفراد لإشباع وتنمية مستويات أخرى في سلم الحاجات كالاندماج الاجتماعي وتنمية الذات فهي مرحلة تالية لإشباع الحاجات الأولية، مما يؤدي إلى

الإحساس بالرضا وتحسين نوعية وجودة الحياة. فالحاجات الفيزيقية والأساسية تشكل القاعدة الأساسية لدراسة نوعية حياة نساء الحمرة حيث إن عجزهن عن إشباع هذه الحاجات سيؤثر علي نوعية الحياة لديهن كما يؤدى إلى زيادة معدلات القلق والضغوط النفسية لديهن والذى سيتضح لاحقا من خلال المؤشرات الذاتية لنوعية الحياة، مما يؤثر بدوره علي نوعية حياتهن عامة وشكل وطبيعة وتطوير علاقاتهن الاجتماعية داخل مجتمعهن، وبالتالي فإن جودة نوعية الحياة لدى نساء الحمرة تتوقف على تحقيق الحاجات الأولية لهن وتعزيز رفاهيتهن، حتى يتسنى الارتقاء بهن وإدماجهن في المجتمع والنهوض بهم. ودونها لا يمكن تطوير هذه الفئة أو النهوض بها.

ثالثاً– المؤشرات الذاتية لنوعية الحياة Subjective Indicators:

تفرض طبيعة مجتمع الدراسة في ضوء النسبية الثقافية مؤشراتها الذاتية الخاصة بها والموجهة لها في سعيها للحياة؛ فتعتبر المؤشرات الذاتية هي تعبير عن رؤية وإدراك وتفسير نساء الحمرة للحياة ولواقعهن المعيشي وتقيمهن الشخصي لحياتهن؛ وتشمل المؤشرات الذاتية في مجتمع الدراسة معرفة درجات رضا الأفراد عن الحياة، كذلك معرفة القيم السائدة لديهن والمفسرة لرؤيتهن للحياة والتي هي بالطبع امتداد للمؤشرات الموضوعية للحياة، ويتضح لك من خلال الدراسة الميدانية فيما يلي:

١. الرضا عن الحياة:

إن ما يعانين منه نساء الحمرة من مشكلات سبق سردها من خلال المؤشرات الموضوعية للحياة كارتفاع معدلات الفقر والمرض وقلة جودة الطعام وضعف العلاقات الاجتماعية وانخفاض مستويات الرفاهية على جميع أبعادها ساهمت نشكل كبير في لرؤية وإدراك نساء الحمر للحياة وتقيمهم لدرجات رضاهم أو سعادتهم؛ فدرجات الرضا والسعادة للفرد ما هي إلا انعكاس لجانبين أحداهما يتعلق بمدى معاناته في إشباع حاجاته الإنسانية والأساسية داخل الحياة والأخر

يرتبط بدرجة إيمانه والمستمد من الدين والذى يكون له القدرة على تهدئة النفس البشرية ودعمها للاستمرار في الحياة رغم صعوبتها ومشقة ظروفه الاجتماعية الدائمة والتي قد لا تنتهي من وجهة نظره

فتوقعات الأفراد عن الحياة تؤثر على معدلات الرضا الذاتي، كما تؤثر على كيفية إدراك الناس لحياتهم، فالاختلافات في الظروف المعيشية والتجارب له تأثيرًا على الطريقة التي يرى بها الفرد حياته، وهذه الاختلافات هي التي تسهم في تشكيل الطريقة التي يفكر بها في محيطه كما أنها تؤثر على درجة رضاه عن الحياة، ويلاحظ من خلال الدراسة الميدانية انخفاض مستويات الرضا لدى العينة فيذهب أكثر أفراد العينة إلى عدم رضاهم عن حياتهم، بينما يرى القلة من العينة أنهن يتقبلن حياتهن، فترى الباحثة أن الضغط والإجهاد الدائم للعينة قد يؤدي إلى زيادة إدراك الفرد بأعباء الحياة مما يقلل من درجة رضا الفرد عن حياته، ويتضح ذلك من آراء العينة فتقول إحداهن (الواحد نفسه يموت ويرتاح من الشقي ده، أنا كل يوم بقول ياكشي تاخدني يارب وتريحني)، وتقول أخرى (ساعات بفكر أهج وأسيبلهم البيت، من كتر المسئوليات على راسي، وأنا لوحدي وكبرت وتعبت، والله الواحد بيقضي نص أيامه عياط)، وتقول أخرى (احنا اتكتب علينا الشقى، هي الدنيا كدة ناس فوق وناس تحت). ما سبق يمكننا القول بانخفاض مؤشرات الرضا لدى عينة الدراسة، وعدم تقبلهن لوضعهن المعيشي وانخفاض مستويات الشعور بالسعادة الناتج عن كثرة المسئوليات وضيق الحياة الدائم لديهن، ويعزو استمرارهن في العمل لاضطرارهن لذلك لقله خبراتهن وغياب الفرص أمامهن في ضوء تعدد مسئولياتهم الاجتماعية والتي يأتي على رأسها الإنفاق على الأسرة.

٢. رؤية الذات في عيون الآخرين والشعور بالمكانة الاجتماعية:

يمكن القول أنه يغلب على العينة النظرة المتدنية للذات، حيث أشارت أغلب أفراد العينة بأنهن يشعرن بالحرج جراء مزاولتهن لمثل هذه الأعمال التي هي أقرب إلى المهام الذكورية؛ حيث تقول إحداهن (أنا كثير ببقى خجلانة من نفسي

وماشية رايحة المصنع كأني عاملة عملة)، في الوقت الذى ذكرت عدد قليل من العينة بأنهن يقبلن على هذا النوع من العمل وهن راضيات ومتحديات للظروف التي يمرنن بها، والتي هي جزء من الظروف المعيشية العامة. ويتضح ذلك من آراء العينة كما يلي (الشغل مش عيب، طالما حلال، الواحدة مننا بميت راجل وأجدع من رجالة كتير مبتصرفش على عيالها)، وقد ذهب البعض من أفراد العينة إلى إلقاء اللوم على المجتمع، وأنهن في أحيان كثيرة يشعرن بالخيبة والظلم المجتمعي ليس لطبيعة عملهن بل لشعورهن بأن المجتمع والأهل قد تخلين عنهن، وكذلك تخلى المكلفون من الرجال عن واجباتهم بالإعالة مما يجعلهن يشعرن بدنو مكانتهن الاجتماعية مقارنة بالآخرين. ويتضح ذلك من آراء العينة التالية (أوقات كثير بحس إني عايزة أقول يا أرض ابلعيني، ببقى مستعرية من نفسي، وبقول إشمعنا أنا اللي اتكتب عليا الغلب والشقى بس برجع وأقول الحمد لله كله عند ربنا محجاش بتروح).

ومن خلال ما سبق يمكن القول بسيادة الشعور بتدني الذات أمام الآخر لدى أفراد العينة حيث إدراك الأفراد لدنو مكانتهم مقارنة بغيرهن وما يتبع ذلك من سيطرة المشاعر السلبية المرتبطة بالرغبة في الخفاء والشعور بالخزي والخجل، وأن فئة قليلة من العينة هي من يستطعن تجاوز هذه المشاعر معللات ذلك بأنه جزء من الظروف الاجتماعية العامة.

٣. رؤية الأفراد للحياة:

إن رؤية الفرد للحياة يحكمها مجموعة من القيم، والتي هي بمثابة القوة الملهمة في الحياة حيث قدرتها توجيه كل سلوكيات الفرد وإعطائه القدرة على تقبل حياته وتحمل المشاق، فهذه القيم هي بمثابة الوقود الموجه لنساء الحمرة لتحمل حياتهن والاستمرار رغم مشقاتها، ومن أهم القيم التي سيطرة على حديث مجتمع الدراسة ما يلي:

أ. الصبر:

يأتي الصبر في مقدمة القيم التي يعطيها مجتمع الدراسة الأولوية كقيمة مسيطرة وموجهة للتفكير والسلوك، فيعد الصبر من أهم القيم الأخلاقية الموجهة للعينة. فهو السمة الغالبة على عينة الدراسة كفضيلة ضرورية للهناء النفسي للفرد وقبول الحياة وتحملها، حيث يمنح نساء الحمرة قدرة على ضبط النفس، والتحمل، والهدوء عند التعامل مع ظروف الحياة الضاغطة، كما أن الصبر من السمات الإيجابية التي أعطت لمجتمع الدراسة القدرة على تحمل عجز إشباع الحاجات، أو تأخر بعض الإشباعات، وتحمل المتاعب الجسمانية والمسئوليات الاجتماعية، فهو إحدى السمات الضرورية للتوافق النفسي ومواجهة تحديات الحياة، وبهذا يُسهم الصبر في اتخاذ القرارات بشكل جيد ويزود الأفراد بالصلابة والقوة وعدم الضعف أمام المواقف فتقول إحدى المبحوثات (أهم حاجة أن الواحدة تكون صبورة وتتحمل، عشان ربنا يكرمها ويباركلها في عيشتها، والواحد معندوش أوسع من الصبر)، وتقول أخرى (والله الواحد صبره صبر أيوب، ساعات بحس إني بتخنق، بس بهون على نفسي وبقول دي دنيا فاضة مش مستاهلة)، ويمكن القول أن ممارسة العينة للصبر أو تقييمهم له قيمة مهمة من قيم الحياة لديهن هي ممارسة اضطرارية، فليس لديهن أمام عجزهن التعليمي والاقتصادي أي بدائل أخرى متاحة. وهذا ما يبرره تعارض ارتفاع تقييم الأفراد لأنفسهن في امتلاكهن قيمة الصبر مع تدني معدلات الرضا عن الذات، فالباحثة ترى أن الصبر هنا قد يأتي في شكله السلبي العاجز عن تغيير مجريات الحياة واكتساب المهارة بل هو الصبر بقبول الأمر الواقع دون أي محاولة للتعلم وتطوير الذات.

ب. الحلال والحرام:

يُعد استعراض مفهومي الحلال والحرام من منظور الرؤية الذاتية لنساء الحمرة بمثابة الولوج في مسار عملية التفاعل الاجتماعي لديهم. والتعرف على كيفية تنظيم الفاعل لشئون حياتهم اليومية. حيث يعد الحلال والحرام بمثابة الضوابط الفاعلة التي تحدد آليات التفاعل الاجتماعي على كافة مساراته وأنماطه

الاجتماعية والاقتصادية. ولعل ما يؤكد ذلك النسبية الثقافية لهذان المفهومان؛ فالحلال لدى نساء الحمرة يتشابه في سياقه وبنيته مع الدين الإسلامي ومنظومة القيم الاجتماعية. فنجد انه كل ما هو مرغوب ومقبول مجتمعيا ويتم التفاخر به حلال. فالكسب بعرق الجبين حلال حتى ولو قليل، فالبركة في القليل طالما حلال، والقرش الحلال عمره ما يضيع في حاجه تافهة. بمعنى أن نساء الحمرة (بيصرفون دخلهم الحلال على الاكل والشرب والجمعيات عشان يجهزوا بناتهم) كما تتفق العينة. اما فيما يتعلق بمفهوم الحرام فهو (كل شيء شين ومش كويس وعيب نعمله زي امد ايدي على حاجه مش بتاعتى أو أمد ايدى اشحت من الناس وانا عندى عافيتى كل ده حرام) كما تتفق العينة. فالإنسان نتاج للبيئة الاجتماعية التي يعيش بها، حيث يُعْلي مجموعة القيم التي يعتنقها المجتمع الذي يعيش فيه، ويدافع عن المبادئ التي يتم غرسها لديه منذ الصغر، فتعتبر أكثر العادات الاجتماعية الراسخة والمتفق عليها بين الجماعة والمرتبطة بالعقائد الدينية أكثر من ارتباطها بالتقاليد، حيث تتسم القيم المرتبطة بالدين بإجماع أفراد المجتمع عليها، أما القيم المرتبطة بالتقاليد والعادات فتتسم بالتفاوت بين البشر، فتعد قيمة الحلال أو العمل ذي المكسب الحلال من أهم القيم المسيطرة على توجه عينة الدراسة، حيث تستمد هذه القيمة أهميتها من العقائد الدينية، فالحلال لديهم هو كل عمل أباحه الله للعباد والحرام هو كل ما ينهى عنه، فيمكن القول أن هذه القيمة الأخلاقية للبحث عن الرزق الحلال تُعد من أهم القيم الدافعة للأفراد لتحمل مشقات الحياة. ويتضح ذلك من خلال آراء إحدى أفراد العينة التالية (أهم حاجة تكون الشغلة حلال، الواحدة تجوع ولا تأكل بثدييها) وتقول أخرى (من أهم الحاجات إن الواحد يراعي ربنا في أكل عيشه وميدخلش على ولاده لقمة حرام).

ج. الشرف:

هناك دائمًا علاقة ارتباطية بين كلمتي الشرف والعرض فهما يأتيان متلازمان دائمًا، ومترابطان ومكملان. فإذا حُفظ العرض تمَّ الشرف، ومن خلال الدراسة الميدانية تبين أن قيمة الشرف من القيم الهامة لتأكيد مجتمع الدراسة عليها

في رؤيتهم للحياة ودفعه لهم لتحمل المشاق وتوجيههم في اختيار أعمالهم، فتقول إحداهن (أي عمل شريف مفهوش عيب، الحرة تجوع ولا تأكل بثديها، أهم حاجة الواحدة تحافظ على نفسها) وهي الدافعة على تحمل مشقة الحياة وقبولها. وتقول أخرى (الواحد لا مؤاخذة يروح يشيل..... مش طوب، ولا يشتغل في حاجة تشيله الطين أو تشبهه).

د. الجمال:

رأت الباحثة ضرورة السؤال عن قيمة الجمال في حياة أفراد العينة، فرؤية الجسد هي جزء من إدراك الفرد للواقع، وخاصة في ظل اختيار مهنة تسهم بشكل كبير في تغيير ملامح الجسد الأنثوية، فالوعي بالجسد يرتبط بالعديد من العوامل الفردية، منها ما هو بيولوجي وما هو نفسي وما هو اجتماعي، وفى ضوء طبيعة عمل مجتمع الدراسة الذى يتسم بإجهاد الجسد وإفقاده كل ملمح أنثوى وإكسابه خشونة وصلابة ظاهرة، فقد تبين إن مفهوم الجمال لدى العينة هو تطابق جمال الظاهر بالباطن في شخص ما. أما عن الجمال في صورته المادية فيخضع المفهوم لعامل الظرفية فللوقت دور مهم في إظهار الجسد كمتأنق ومتجمل. وعليه يكون مظهر حضور الجسد في الحفلات والمناسبات مخالفًا تمامًا لمظهر الذهاب إلى العمل حيث التعمد إخفاء ملامح الجمال والتشبه بالرجال لعدم التعرض للمضايقات أو جلب المشاكل، لذلك فالزينة مؤشر مهم للدلالة على ظروف الأفراد الاجتماعية. إلا أن الرغبة في التأنق تبقى ملحة لدى العينة في المناسبات أو في غيرها وعليها تقول إحدى المبحوثات (الواحدة مننا وهي خارجة تجري على أكل عيشها لا بتفكر في شكلها ولا أبصر أش، كل اللي شغالها لقمة العيش، بالعكس ده الواحد بيتستر أكتر وهو رايح للمصنع يخاف يقع ولا حاجة يتكشف). وتقول أخرى (الأحمر والأخضر ده مبنحطوشي غير لو فيه فرح بس، غير كدة هنحطه لمين ده الواحد بيبقى واقف عرقه مرقه، ومتلهوج عايز يخلص ويجري).

ه. نوعية الحياة كما يعكسها خطاب الشعر في الحياة اليومية:

ربما قد يبدو الخطاب الشعرى كعنصر من عناصر التحليل الذاتي للمؤشرات غريبا بعض الشيء إلا أن الباحثة قدر رأت أنه من الضروري الاستناد إليه حيث فرض الخطاب الشعرى نفسه كمؤشر من مؤشرات نوعية الحياة الذاتية، حيث عكس مكنونات النفس ومشاعرها الداخلية بصورة تلقائية وانسيابية دون جهد من الباحثة أو تكلف بطرح بعض الأسئلة، لذلك رأت الباحثة أنه بعدًا مهماً يرتبط بخصوصية المجتمع لا يمكن إهماله وصوتاً صادقًا لقياس جودة الحياة يعكس مدى الرضا عنها من خلال ما يتبناه الفرد من أقوال يرددها في أوقات اجتماعية مختلفة، فلقد كان الشعر دائما ملازم لي في دراستي الميدانية أثناء ذهابي وإيابي مع عينة الدراسة، ربما كان المنفس الوحيد في نهاية اليوم للتعبير عن الشقاء والألم، فتعكس مجموعة الأمثال والأغاني التي يتبناها الفرد رؤيته للحياة وتقيمه للواقع، فهي تعبير صريح عن مكنونات النفس البشرية وهى نوع من البوح غير المباشر بدواخل النفس، فعادة وفى لحظات الصمت الطويلة وأثناء العودة للمنزل وبعد انتهاء مشاق العمل، تجلس النسوة في السيارة صامتات لتفاجئنا إحداهن في أحياناً كسيرة بكسر الصمت بترديدها لبعض الأغاني الشعبية أو الأمثال والتي كانت كلها تدور حول صعوبات الحياة، فتقول إحداهن (عيانة ياأمة تعالى حداى: حلى طرف الثوب وهوى معاى) حيث كانت تشعر بحرارة الطقس المفرطة، وكذلك تقول أخرى (نازل المقعد يهز اناه وعبايته الحلوة تجر وراه: نازل من المقعد يجر أيديه وعباية الحلوة بتجري عليه) وعندما تساءلت من هذا الذى تتغنى له، فأخبروني فأنها ذكرى رحيل زوجها الذى كام يكفيها من عناء ومشقة العمل، حيث اضطرت للبحث عن سبل للرزق بعد وفاته، وتقول أخرى (يارب أنا كان مالي ده الوعد هو رمانى، يازمان غور من قبالى)، ومنها (ماشى يازمان ماشى، زى القطر القشاشى، لا انت مخلى الراكب راكب، ولا مخلى الماشي ماشي، فينك يا أبا متسبناشى، يتباع فينا ولا نسواشى). فيعكس الشعر معاناة هذه الفئة من النسوة من الحياة، فللشعر جانب نفسى عميق لا يمكن تجاهله، حيث التنفيس عن الغضب والحزن بداخل النفس

البشرية، وبالتالي جاء الشعر مؤكداً لتدنى جودة الحياة لدى نساء الحمرة حيث اخترن من الشعر الشعبي ما يعبر عن الألم والمعاناة وانخفاض جودة الحياة.

تعقيب:

من خلال عرض المؤشرات الذاتية يمكن القول أنه رغم تدنى مستويات رضا الأفراد عن انفسهن وشعورهن بالدونية، وكذلك شعورهن بافتقار الكثير من مهارات الاعتماد على الذات، إلا أن هذا يتعارض مع القالب القيمي لعينة الدراسة حيث تتبنى عينة الدراسة الكثير من القيم الإيجابية والتي تعد موجهه لها في الحياة، ويمكن تبرير الاختلاف ما بين تقييم الذات أو الشعور بالرضا والذى جاء متدنيا وبين سيادة القيم الإيجابية الدينية الحاكمة للأفراد إلى أنه ليس من الضروري أن تتفق القيم الموجهة للفرد مع شعوره الذاتي بالرضا من عدمه أو تقيمه الإيجابي لنفسه، كما قد يكون لدى الشخص المشرد المريض بشكل ميؤوس منه درجات رضا أعلى من الشخص الثري صحيح الجسد، لأنه يولى أهمية لمجموعة من القيم مختلفة عن تلك المتغيرات المتضمنة لقياس جودة نوعية الحياة أو تلك التي يوليها الاهتمام الشخص الثري.

وعامةً يمكن تفسير المؤشرات الذاتية في ضوء الاتجاه المعرفي من حيث اعتبار أن هناك تأثيرا كبيرا وملحوظا للبيئة المحيطة بالفرد على إدراكه لجودة الحياة، كتقييم الأفراد لأنفسهن مقارنه بغيرهن. فالأفراد يدركون العالم من خلال مكانتهم الاقتصادية مقارنتهم بغيرهم ومن خلال ما يحققونه من إنجازات يعد أهمها إشباع الحاجات الأساسية للحياة، حتى أن استدانتهم وعجزهم عن رد الدين يشكل رؤيتهن لأنفسهن كأشخاص عاجزين، فكثرة العوز والفقر شكل رؤيتهن لأنفسهن كأفراد مقهورين وضعفاء ومجبرين على العمل في المهن الشاقة التي لا تلائم إلا

من هم في ظروفهم التعليمية والثقافية، فطبيعة إدراك الفرد هي التي تحدد شعوره بجودة الحياة .فإدراك الأفراد بدنو وانخفاض مكانة مهنتهم أضفت عليهم إدراك آخر بدنو جودة حياتهن مقارنة بغيرهن، هذه الإحساسات والأفكار هي التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية واحدة كنساء الحمرة، والذين هم في الغالب أعضاء طبقة اجتماعية واحدة أيضاً، كما يتضح تأثير البيئة الثقافية على الأفراد أيضاً في تشكيلها للقيم المعرفية الفرد والتي تنعكس في ضوء تأويل الأفراد ورويتهن للحياة، فسيادة القيم الريفية الحاكمة للفعل من الشرف والبحث عن لقمة العيش الحلال، تعكس الجانب الديني والعقائدي المستمد من الثقافة الريفية؛ حيث تولي الثقافة الريفية للقيم الدينية الكثير من الاهتمام، عامة نستطع القول أن الدراسة تتفق مع المبدأ الفكري للاتجاه المعرفي والذى يرى أن البيئة التي ينشأ فيها المرء تساهم في سلوك الفرد ورؤيته وتوجهاته، كما تشكل تصوراته عن الحياة.

نتائج عامة:

١. يمكننا القول (في ضوء الاتجاه المعرفي) أن هناك تأثيرا كبيرا وملحوظا للبيئة المحيطة بالفرد على إدراكه لجودة الحياة، كتقييم الأفراد لأنفسهن مقارنه بغيرهن؛ فالأفراد يدركون العالم من خلال مكانتهم الاقتصادية مقارنتهم بغيرهم ومن خلال ما يحققونه من إنجازات يعد أهمها إشباع الحاجات الأساسية للحياة، وفى ضوء ذلك تتشكل رؤيتهن لأنفسهن.

٢. أن الأفراد يسعون وراء أهدافهم في شيء يشبه الترتيب الهرمي حيث محاولة تلبية الاحتياجات المادية الأكثر إلحاحًا مثل الجوع والمسكن أولاً لارتباطها المباشر بالبقاء، كيفما أشار اتجاه ما بعد المادية، وبالتالي فان جودة نوعية الحياة لدى نساء الحمرة تتوقف على تحقيق الحاجات الأولية

لهن وتعزيز رفاهيتهن، حتى يتسنى الارتقاء بهن وإدماجهن في المجتمع والنهوض بهم، ودونها لا يمكن الانتقال لتطوير هذه الفئة أو النهوض بها؛ بعكس الأفراد الذين نشأوا على اعتبار البقاء على قيد الحياة أمراً مفروغاً منه، حيث يكونون أكثر ميلاً للتوجه ما بعد المادي حيث انتقال الأفراد لإشباع وتنمية مستويات أخرى في سلم الحاجات كالاندماج الاجتماعي وتنمية الذات فهي مرحلة تالية لإشباع الحاجات الأولية.

٣. يتضح من الدراسة أن هناك عدة عوامل قد أدت إلى ظاهرة نساء الحمرة، وقد تحددت أهم هذه العوامل في غياب العائل أو وفاة الزوج، الطلاق، هجر الزوج، قلة دخل العائل، إدمان الزوج، مما أدى إلى قيام المرأة بإعالة الأسرة، يتزامن ذلك مع انخفاض مستوى التعليم حيث انتشار الأمية بالعينة مما يقلل من فرص هذه الشريحة من القدرة على تحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي والاستفادة من البرامج التنموية.

٤. تعد المشكلات الاقتصادية من أهم المشكلات التي تعاني منها نساء الحمرة، حيث العجز عن توفير الاحتياجات الأساسية للحياة، كالطعام والملبس ودفع تكلفة الخدمات المعيشية كالماء والكهرباء وتوفير الغاز للطهي، والتي تُعد في جزء كبير منها نتاج للأمية ونقص التعليم والخبرات، وطبيعة البيئة الثقافية المنخفضة حيث غياب التوعية الاجتماعية وبرامج الدعم لهذه الفئة.

٥. تتدنى مؤشرات نوعية الحياة لدى نساء الحمرة على مستوى المؤشرات الموضوعية للدراسة حيث انخفاض الدخل و جودة الطعام والسكن

والعلاقات الاجتماعية وكثرة الديون، وتدني الصحة وانخفاض مستويات السلامة والأمان في البيئة المهنية.

٦. تنخفض المؤشرات الذاتية لنوعية الحياة لدى نساء الحمرة حيث سيادة المشكلات الذاتية المتعلقة بانخفاض درجة الرضا عن الحياة، والرؤية السلبية للذات حيث الشعور بالدونية والنقص، والظلم الاجتماعي والإهمال.

٧. يعكس الخطاب الشعري لنساء الحمرة ملامح الحزن والغضب لديهن، حيث يُعد مرآة صادقة لمكنونات النفس البشرية.

المقترحات والتوصيات:

١. توجيه البرامج المخصصة لمكافحة الفقر إلى الريف، والعمل على توفير معاشات خاصة بالمرأة العاملة في غير القطاع الحكومي.

٢. توفير البرامج التعليمية لتدريب نساء الحمرة ومحو أميتهن، وزيادة الكفاءة المهنية لهن حتى يتاح لهن فرص عمل إنسانية.

٣. توفير البرامج التثقيفية فيما يتعلق بالصحة ونوعية الغذاء، لرفع الوعي الصحي لدى نساء الحمرة.

٤. العمل على توفير مشاريع مخصصة للنساء غير المتعلمات، وتوفير برامج لصقل مهارتهن. والعمل على متابعة هذه المشاريع وتطويرها لتتناسب مع حاجة نساء الحمرة.

٥. توفير وحدة صحية لتلقي العلاج بالقرية، والعمل على توفير وسائل نقل عامة داخلية لترامي أطراف القرية وكبر حجمها.

٦. العمل على توفير وحدة إرشاد نفسي واجتماعي بالقرية، حيث حاجة مجتمع الدراسة للتوجيه والإرشاد، وذلك لتحسين نوعية حياة نساء الحمرة والتغلب على مشكلاتهن الاجتماعية والنفسية.

٧. وضع راتب شهري للأسر التي يتواجد بها أطفال رضع وتتسم بانخفاض مستوى المعيشة، حتى يتاح للأم رعاية أبنائها، ولا تجبر على تركهن لإهمال الغير، أو تعريضهن للخطر.

٨. تسهيل إجراءات الحصول على الخدمات، والإشهار للبرامج التنموية الموجهة لهذه الفئة بالطرق التي تضمن الوصول إليهن، مع مراعاة التنسيق والتعاون بين الجهات التي تقدم الخدمات.

٩. ضرورة توفير عوامل السلامة والأمان المهنية في بيئة العمل للحد من التعرض للمخاطر التي قد تودي بحياة نساء الحمرة.

المراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. أبو الهيثم، نهى السيد محمد وأخرون (٢٠٢١). العوامل المؤثرة في نوعية الحياة للشباب الريفي في بعض كليات جامعة طنطا، مجلة الاقتصاد الزراعي والعلوم الاجتماعي، العدد (٣)، الجزء (٦)، جامعة المنوفية. ص ص ٤١-٥٨.

٢. أبو مساعد، حمدي أحمد سيد (٢٠١٠). تحسسين نوعية الحياة للنساء المتسولات، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد (٧٠)، ج (٢)، جامعة أسيوط. ص ص ٧٤٣-٨١١ .

٣. الحايس، عبد الوهاب جودة، و سالم النصيبية، بسمة (٢٠١٦). نوعية الحياة لدى السكان المحليين كآلية لاستدامة التنمية: دراسة ميدانية في محافظة جنوب الباطنة بسلطنة عمان، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد (١٨)، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ص ص ١٥-٥١.

٤. السيد عبد القادر، سلوى (٢٠٢٢). التعليم الهجين بين الفرص المتاحة والتحديات، دراسة أنثروبولوجية لتجربة جامعة الإسكندرية، مجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ٣٤١-٤١٨.

٥. الشايب، نجوى (٢٠١٥). الصحة ونوعية الحياة: دراسة أنثروبولوجية بإحدى القرى المصرية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد (٥٢)، العدد (١)، ص ص ٥٩-٩٩.

٦. الغندور، العارف بالله محمد (٢٠٠٧). الفقر ونوعية الحياة رؤية نفسية اجتماعية، المؤتمر السادس، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، القاهرة، ص ص ١٥١-١٦٦.

٧. انجلهارت، ورونالد وأخرون (٢٠٠٤). المعتقدات والقيم الإنسانية: كتاب مرجعي متعدد الثقافات يستند إلى مسوحات القيم ١٩٩٩-٢٠٠٢، مكسيكو سيتى، ص ص ٢٢-٢٣.

٨. انجلهارت، رونالد (١٩٩٥). القيم المتغيرة والتنمية الاقتصادية والتغير السياسي، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد (١٤٥).

٩. بدوى، عبد الرحمن (١٩٧٧). مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت.

١٠. تيروي، مايكل (٢٠٠٠). دراسة اجتماعية ألمانية عامة، مجلة الاقتصاد والعلوم الاجتماعية، العدد (١٢٠)، مجلد (١)، ص ص ١٥١-١٥٨.

١١. حواس، زاهي (٢٠١٩). الفراعنة أول من بنوا بالطين، موقع جريدة الشرق الأوسط، العدد (١٤٣)، ٣١.

١٢. رمزي، محمد (١٩٩٤). لقاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٣. زايد، أحمد (٢٠١٢). علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، دار إنسانيات للبحوث والنشر، القاهرة.

١٤. شمس، أمل عبد الفتاح (٢٠١٨). تحسين نوعية الحياة: بحث على عينة من قاطني العشوائيات المنتقلين لحى الأسمرات، حوليات آداب عين شمس، مجلد (٤٦)، ص ص ٤١٣-٤٥٩.

١٥. عبد الجبار، فالح (٢٠٢٢). قاموس بلاكويل للفكر الاجتماعي الحديث، معهد دراسات عربية، وليم أثوايت (محرر)، هيئة البحرين للثقافة والأثار.

١٦. عرفان، محمود محمد (٢٠٠٧). مؤشرات تخطيطية لتحسين نوعية الحياة للمسنين، المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، القاهرة، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص ٧٣-٣٦.

١٧. علي، رمضان عبده (٢٠٠٤). حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية، المجلد (١)، دار الآثار للنشر والتوزيع، ص٢٢.

١٨. محمد، فواطمية (٢٠١٨). التوجهات النظرية لجودة الحياة، مجلة الحوار الثقافي، العدد (٤)، الإصدار (٢)، ص ص ٣٠٩-٣١٩.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. Akranavičiūtė, Dalia & Juozas, Ruzeviciu (2007). Quality of Life and its Components' Measurement. Published by Kaunas University of Technology .

2. Bondnd,John & Lynne, Cormer (2004). Quality of life and older people. New York. Mc Grew Hill. p2.

3. Bowling, Ann. (2007). quality of life older Age in Haidrun Mollenkopf and Alan quality of life walker. New York. Vol. 3. P. 726.

4. Bunting B. (2018). Acomparative study of satisfaction with Life in Europe. Eotvos university press. pp11-48.

5. Carr, Alisonj & Higginson, Irenej, et al. (2003).quality of life. mby BM Books. Tavistock Square. Andon.

6. Costanza, R. (2000). Visions of alternative (unpredictable) futures and their use in policy analysis. Conservation Ecology 4 (1). 5 ([online] URL: http://www.consecol.org/vol4/iss1/art5).

7. cummines, Robert, A. (2000). objective and Subjective quality of life: An Interactive Model. social indicators Research. Vol. 52. No.1.

8. Guallar, Pilar. (2005). Differences in quality of life between women and men in the older population of Spain. Social Science & Medicine. Volume 60. Issue 6. pp. 1229-1240.

9. Juozas, Ruževičius (2014). Quality of Life and of Working Life Toulon-Verona International Conference. Liverpool (England) Conference. pp. 24-34.

10. Land, Kenneth et all. (2016). Hand book of social indicators and quality of life Research. springer. New York.

11. Malinowski, Piddington, R. (1957). theory of needs" In; Firth, R. (ed.) man & culture, Rutledge & Kegan Paul limited, NY)

12. Mauss, Marcel (1967). Manuel d'ethnographie, Editions, Payot, pp. 73- 78

13. Patricia, A., Marshall (2005). Cultural influences on perceived quality of life. Science Direct. Vol. 6. Issue 4. pp. 278-284

14. Patrick, Kilby (2006). Participatory Development Working Papers. Australian National University. p: 7. in. http//rspas.anu.edu/maapd.

15. Radkowski, Georges- Hubert (2002) Anthropologie de l'habitation. Vers le nomadisme, Préface d' Augustin Berque/ postface de Michel Deguy, PUF, Paris, p. 25.

16. Richard, Wilk (2000). Quality of Life and the Anthropological Perspective . Feminist Economics. Vol. 2. pp. 91-93

17. Schmitt, Regina Berger (2002). considering Social Cohesion in Quality of life Assessment. concept and measurement. Social indicators Research, Vol. 58. p. 408.

18. Snek, Denial. L (2005). Economic Stress Emotional Quality of Life and Problem Behavior Chinese Adolescents Without Economic. social indicators research series. Vol. 25. p. 366.

19. Snoek, Frank J. (2000). Quality of life: A closer look at Measure :Well Being. Research to practice, Diabetes and Quality of life. PHD. Vol. 13. No. 1. p. 24.

20. UNICCO (1999). Quality of Life Problem of Assessment and Measurement. Social Economic Studies. p. 29.

21. Vaarama, Marja. (2007). Care Patients Quality of Life IN Haidrun Mollenkopf and Wailker, Alan (2007). Quality of Life Old Age International and Muit Disciplinary Perceptive. Social Indicators Research Series. Vol. 31. p. 15.

22. Valenzuela, Sebastian (2011). materialism- Post materialism and Agenda setting Effects: the Values-Issues Consistency Hypothesis .International Journal of Public opinion Research. Vol. 23. No. 4.

23. Veenhoven, Runt (1996).The study of life satisfaction. chapter in: Saris. W. E. Veenhoven. R., scherpenzel.

24. WHOQOL Group (1998). The World Health Organization, Quality of life Assessment. p. 85.

ثالثاً- المواقع الإلكترونية:

١. https://www.capmas.gov.eg/ :الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء

٢. http://arabquality.blogspot.com/2012/12/quality-of-life.html

٣. https://e3arabi.com/%D8%B9%D9%84%D9%85

٤. http://www.benisuef.gov.eg/New_Portal/Districts/Districts.asp x: البوابة الإلكترونية لمحافظة بنى سويف

٥. سراج الدين، عمر (٢٠١٦) تصنيف البلدان حسب الدخل: ورقة عمل جديدة، نقلا عن:

٦. https://blogs.worldbank.org/ar/opendata/classifying-countries-income-new-working-paper

Quality of life among the women of Al-Hamra: An anthropological field study for women working in the brick factories sector

Abstract

The aim of this research paper is to try to find out how the living conditions and conditions affect the quality of life of Hamra women, and how is their vision of life formed? In order to reach proposals that may help in improving it, the study relied on the anthropological approach, and the study reached a number of results, perhaps the most important of which are: Divorce, desertion of the husband, low income of the breadwinner, addiction of the husband, which led to the woman supporting the family, this coincides with the low level of education, where illiteracy is widespread, which reduces the chances of this segment of the ability to improve the economic and social level and benefit from development programs. The economic problem is one of the most important problems that Al-Hamra women suffer from, as it is the inability to provide the basic needs of life, such as food and clothing, and pay the cost of living services, and poor health. The subjective indicators of the quality of life of Hamra women also decline, where the prevalence of subjective problems related to the inability to make decisions and the low degree of life satisfaction.

Keywords: Hamra women- quality of life- working women- objective and subjective indicators of quality of life.